

كانون

ودفاء مسروق

- عنوان الكتاب: كانون ودفء مسروق
- اسم المؤلف: محمد عبد الحميد الأسطل
- الطبعة الأولى : 2021
- إيداع رقم : 2021/1472
- تصميم الغلاف : ناصر عطا الله .

مركز تجوال للثقافة والفنون
دائرة الطباعة والنشر
فلسطين- غزة



حقوق الطبع محفوظة

مركز تجوال للثقافة والفنون
عنوان : خانيونس - الكتيبة - مقابل محطة الفرا - عمارة وافي الطابق الأول.

فيس بوك : / <https://www.facebook.com/Tejwal.p>

بريد الكتروني : Tajwalculture@gmail.com

جوال: 0599451009

تنبيه : لا يجوز نشر أي جزء من الكتاب أو اختزال مادته بطريقة الاسترجاع ، أو نقله على أي نحو أو بأي طريقة سواء كانت إلكترونية أو ميكانيكية أو بالتصوير أو بالتسجيل أو خلاف ذلك إلا بموافقة خطية مسبقة من المؤلف والناشر .

ش ع ر

محمد عبد الحميد الأسطل "أبو القسم"

كانون

ودفاء مسروق

دار تجوال للنشر

إهداء

إلى روح أمي التي غادرتنا

إلى أبي الغالي

إلى زوجتي وأبنائي

إلى أخوتي وأخواتي والأصدقاء

إلى الأحبة جميعا

إلى كل من عشق الحروف

شكر وتقدير

أقدم بشكري وتقديري لله تعالى أن وفقني لإنجاز
هذا العمل كما أقدم بجزيل الشكر لكل من ساهم في
انجازه بداية من أسرتي الصغيرة ومرورا بالأخ والصديق
الشاعر والكاتب ناصر عطاالله والأخ كامل وافي ومركز
تجوال الثقافي وانتهاء بأيّ جهد من أي شخص أعلمه أو
لا أعلمه.

تقديم

كانون.. ودفء مسروق شاعرية الوجدع ورنين
الأمل فنتنة الكلمات سائدة ما كانت أرجوحة الحياة ممتدة
في مواسم لا أعياد فيها، إلا للظلال المنقطعة، ولأنها
أصواتٌ كصكوك لا تعفي الكائن الغريب من قسوته،
كُتبت بوجدان الشاعر المتيقظ، ولم تدنس بحبر مائل
لعشق مخادع، سرعان من تدير لها المحاة خصرها
فيفتن ويفتنن، حتى تتلاشى الحناجر عنه، وهنا ناصية
شامخة، رغم الجراح والدمع الرقراق، وملح المناديل،
وأرصفة لا موائى لها، غير أخيلة تتصب بإصرار لا ملل
يعتليه، ولا أنس هجرانٍ يصيبه، فالجملة الشعورية مدماك
متين في جدار الكينونة المعمّرة، تحمي الأحلام، لا تمنع
عنها الهواء والماء، عشبها خوذ جندي لا يقهرهم ظالم، ولا
يثنّهم متأمر، وعلوها سمو يعلم البيت المدمر الصبر إلى

حين عودة النور إليه ليرسم ملامحه العتيقة من جديد على
فروع ما انكسرت بعد أصولها المتجذرة.
كانون.. ودفء مسروق مجموعة شعرية للشاعر محمد
عبد الحميد الأسطل، عبرت ممرات النفس القفلة على
الوطن والمصير والارتباك الحاضر، ولكنها صقلت من
الروح الشاعرة بإصرار حميد يواجه غطسة الكائن الغريب
الذي يتمدد في ربوع الحلم، ويخدش الحياة بنار مستعرة،
نازًا سوداء يغذيها بارود مسموم لم تغنيه الإنسانية عن
فعل مضاد، يدمر ضميرها، ليبقى الشاعر في نصوصه
رسامًا بارعًا لحزنه وأحزان شعبه، ولكنه مقاتل عنيد من
أجل الخلاص، وترتيب العقول على الحق المبين، فنجد
رنة الكلمات لها رؤوس حادة كمسمار قنبلة تنتظر الإشارة
لتتبرع بالأمان وتتخلى عن صبرها لصالح الانفجار،
يريدها الشاعر حالة مؤقتة في شعب احتلت أرضه
وهجرت ناسه، يسلم قصائده بعتاد غير منقوص، لمعركة

دائرة منذ قطرة الدم الأولى فوق التراب الوطني، تصعيداً
إيماناً لحماسة الفدائي، وتمتيناً لجبهة الدفاع عن البقاء،
والهوية، لا اندفاعاً تنقطع بهزيمة، ولا نشوة تنتهي بسكوت
آلة الدمار المعادية، بل هي صيرورة صاحب الحق في
مواجهة الباطل، لا صفارات إنذار عابرة، هنا تجد المتراس
والقلعة والميدان والجند، كلهم في منازل لا تهدأ، من أجل
أجيال ستأتي وتجد، تفسيرات كثيرة للنضال والمقاومة.

"كانون.. ودفء مسروق" نصوص جرت على
شريان الورق فرسمت فراشات طوافة على ضفاف حالمة،
بكت نعم، فالإنسان يبكي، احببت نعم، فالجبال تحب،
سألت الغير نعم، فالسماء تسأل، و ترجلت أنفاس وولدت
أماني، وطبيعي أن يبذل الشاعر أصواته، وأن يستريح
للحظة من أحماله، وأن يضم جراحه، ويواصل الكتابة
كعاشقٍ وأبٍ وولد وفي يعلي أحب الناس إليه بعد غيابه،
وما يزيد المجموعة براءة، امتلاك الشاعر لغةً بارعة،

تظلي الأفهام وتشبع الذائقة، وتأخذ العبارة إلى حدائق المعاجم، ولا تتعبها في صحاري ناشفة، فالنصوص حيوية بتكرار مصطلح "الحياة" فيها، وقلقة لزوال القلق وليس الإقامة، والأوجاع وقائع وليست صناعة مزيفة، والتحدي لتغيير المؤلم ليس تشفي، ولا مظاهره كاذبة، بل هي أنفاس الشاعر المتحد مع رغائبه المحقة في مواصلة مشوار العمر ولو كان مشواره هذا كله فوق جسر وتحت نهر ماؤه حمم متقدة، لا يغترب الشاعر ولا يهاجر من واقعه ولا وقائعه المعاشة، بل يقف فيها ويتنفسها من غير تهويل فيها، ولا تهميش لآثارها المؤلمة . نحن أمام شاعر حقيقي، وأستاذ لغة متصلح مع المصطلح، ومهندسٌ بارعٌ للعبارة، غير مملٍ ولا مترددٍ يبحر في عالمه الخاص ليعمم تجربته مع الشعر، على طريقة الوجه المنير تحت شمس تحيي الأرض من بعد ليل سجي . وما لم نتجاوزه في هذه المجموعة الشعرية، وجدان الشاعر العامر

بالحياة، وكأنه سمرقندي ينحت في الجمال الإنساني
حوارات الروح مع الصفاء النقي، يريد لنفسه وشعبه الحياة
المعرفة بالكرامة، والحرية، والأمان، ويصرّ في نصوصه
عليها، لأنه مشتاق إليها، اشتياق المقيم لبحر يشتهي
فيُسمعه موجات الرضى، فيدنو من العنقوان العادل في
شأنه، من غير تطرف، ولا استمناء دموي تغرق فيه
مراكب القمح ولقمة الفقراء، بل أراد عنفوان الحق في
مهندٍ يسطع من سنانه نور العدالة، لترضع الأرض من
بعد جوع مميت، ويريد للحدائق أن تنبت، وللمقابر أن
تصير لوحة مقدسة على جدار الوفاء، يهتف من أجل
العدل لا من أجل قتل الإنسان بلا طائل، ولو كان معتدٍ
أثيم، هو النفس المطمئنة بالحق، والمؤمنة بالبقاء بعزة
وكرامة وسمو، وإن خلل ما أضر واحدة منها، لن يؤخر
همة لكي يعيدها، هو الفلسطيني وإن لم يغادر أرضه، وإن
لم يتعرض للهجرة القسرية، ولم يربط لخمية حبالها على

تلة باردة، أو تتعفر قدماه في وحل المنافى، وعليه فهو
اللسطينى الأكثر نقاءً لإبحاره الفدائى من غير حرمانٍ
أصابه بشكل مباشر، بل أصاب جزء من شعبه، فتألم
بجراحهم، وتوجع في حرمانهم، واعتقل من أجلهم، ليكتب
قصيدته الواقعية الأكثر صدقاً في حياته .

"كانون.. ودفء مسروق" بريد لكل وطنى وإنسانى إذا ما
وصله سيفرح به، ويزداد إيماناً بأرضه وقضيته، وبهاء
أخلاقه . ولعلي فيما تناولت إيجازاً لا صريحاً مستفيضاً
طارداً ملل القراءة عن القارئ ومؤنساً الشاعر ببعض ما
يستحق، مع الرجاء له بمواصلة الطريق لبناء القصيدة
التي لا تنتهي بإصرار الدفاع عن الحق، بل بإصرار
البناء والبقاء في أرض أشرقتم شمسها، وطارت عصفيرها
في وحاتها تمنح الناس الطمأنينة والسلام.

الشاعر والكاتب ناصر عطاالله

في حضرتها تغيبُ الكلمات

طُفْنَا بنهرٍ
منَ الخيراتِ والقِيمِ
حيناً منَ الدهرِ
معَ سئِلٍ منَ الدَّيْمِ
أزْحَى عَلَيْنَا بوابِلِهِ
فأدْهَشْنَا أَنْ كَانَ يَحْدُوهُ
أَفْضَالَ منَ الشَّيْمِ
وَرِضاً منَ الرَّحْمَنِ ظَلَّ يَسْبِقُهُ
جودُ العليِّ
بما أعطاهُ منَ كَرَمِ
فَيْضاً نَهَلْنَا
ظَنْنَا أَنَّهُ أَزَلُّ
حتى رُمِينَا
بما أفسَى منَ الحِمَمِ

قصدًا غُشِينَا
قَلْنَا عَلَهُ حُطْمٌ
فَطَالَ فِينَا
فَصَرْنَا بَعْضَ مَنْ حُطِمَ
يَا وَيْحَ قَلْبِي
بِمَا أَضْنَاهُ مِنْ حَزَنِ
بَعْدَ الرَّسُولِ
مُصَابِ الْأُمَّ فِي الْأُمَّ
فَاضَتْ إِلَى اللَّهِ رُوحٌ
كَنْتُ أَحْسِبُهَا
دَوْمًا تَدْوِمُ
بِلا فِقْدٍ وَلَا عَدَمِ
وَعَلَى عُجَالَةٍ
سَرْنَا نَحْوَ مَسْكِنِهَا
قَلْبًا حَفْرْنَا

ووسدناه بالآلم
هلنا عليها تراباً
بعدمأ أهدت
يا وىح نفسى
بما أقترفته من إثم
سجئتها لهداً
يا نفس
كيف لها أن طأوعتني
حنوت التراب بالسقم
وسدنها التراب رعمأ
بعدمأ مكنت قد وسدنتنا
رىشأ خىط بالنعم
آه على قلبى
حزناً لن يفارقنى
آه على وىع

كالهادِرِ العَرِمِ

خَضْرَاءُ

كَانَتْ كَمَا فَضِّلِ عَلَى عَمَلِ

مُنْذُ الطُّفُولَةِ

زَادَ الْجُودِ بِالكَرَمِ

فَقَدْتُ ذَوِيهَا

فَمَا انْفَكَّتْ مُحَارِبَةً

رَبَّتْ بَنِيهَا

عَلَى خَيْرٍ عَلَى قَدَمِ

مِنْ قَلْبِهَا نَزَفَتْ

نَارًا مُشْعَشَعَةً

لَهُمْ أَضَاءَتْ

لِتَحْمِيهِمْ مِنَ الظُّلَمِ

قَدْ ابْتَنَتْ

بَيْنَنَا لِلَّهِ بِإِذْنِهِ

وَأَجْرَتِ الْمَاءِ
زَادَتْ مَعَهُ بِالْهَمِّ
قَدْ وَرَثْتُ عِلْمًا
مِنْ طِيبِ مَزْرَعِهَا دَوْمًا
وَمَا كَفَّتْ تُقْرِي
وَبِالنَّعْمِ
فَاضَتْ دُمُوعِي عَلَى صَدْرِي
وَأَرْقَنِي
ذَلِكَ الْغِيَابُ
الَّذِي قَدْ تَارَ بِالْحِمَمِ
أُمَّاهُ عُدْرًا
فَهَذَا الْأَمْرُ يَفْتُنُنِي
جَمْرًا لَهِيْبًا
وَبُرْكَانًا مِنَ النَّدَمِ
أُمَّاهُ

يَا وَجَعًا
زِدْنَا بِهِ وَهَنًا
تُهْنَا بُعِيدِكَ
دُنُّرْنَا وَبِالْهَرَمِ
يَا أُمَّ عُدْرًا
عَلَى تَقْصِيرِنَا مَعَكَ
بِرًّا مَكْنَتِ
وَنَحْنُ النَّيْهُ بِالْعَدَمِ
عَشْتِ الْحَيَاةِ سَحَابًا
كُلُّهُ خَيْرٌ
غَرَسْتِ فِينَا مِهَادًا
صُبَّ مِنْ قَمَمِ
يَا أُمَّ يَا شَوْقِي يَا كُلَّ عَافِيَّتِي
هُدَّتْ
بَقِينَا بِلَا زَادٍ وَلَا هِمَمِ

يَا رَبُّ
صُبَّ مِنَ الرَّحْمَاتِ مَا بَرِحَتْ
شَمْسٌ تَضِيءُ
وَمَا كَشَفَتْ مِنَ الظُّلْمِ

فِي عُيُونِ مَلِيحَتِي

أَنْظُمُ أَخِيَّ -وَلَا مَلَامَ -

قَصِيدَةً

وَكَتَبْتُ بِهَا عِنْدَ غَايِرِ الْأَقْوَامِ

وَأَنْثَرْتُ عَلَى مُهَجِّ الْقُلُوبِ

مِنَ الْجَوَى

تَمَحُّ النَّبْلَاسِمُ

مِنَ لَطَى النَّسِيَانِ

وَأَمْدُدُ شُعَاعَ الشَّمْسِ

عَبْرَ عُيُونِنَا

وَهَجَاً بِهِ تَرْتَبُّ نُفُوسُ كِرَامِ

يَا صَاحِبَ لَا حُزْنَآ يَظَلُّ بِجِدْرِنَا

أَوْ فِي دِمَانَا

تَسْتَرِيحُ أَمَانِي

قَدْ فَارَقَ الْمَحْبُوبُ كُلَّ شَوَاطِي

وَعَدَا طَلِيقاً

فِي هَوَى الْجِرْمَانِ
يَهْذِي بِجُرْحِ
لَا يَكْفُ صَبَابَةً
سَكَنْتُ بِفَقْرِ مِنْ
لَوَاعِجِ حَانَ
أَيُّ صَاحِبِي
يَا مَنْ تَعِبْتَ مِنَ الْهَوَى
أَرْسِلْ مَعَ السُّحْبِ الْكِرَامِ
مَثَانِي
أَرْسِلْ خُيُوطاً مِنْ مَدَامِعِكَ
الَّتِي مَدَّتْ عَلَى طُولِ السِّنِّينِ
نِيَّاطِي
وَهُنَاكَ حَيْثُ السُّحْبُ
الْعَادِيَاتُ فَبَلَّغُوا
مَنِّي سَلَاماً لَا يَغِيبُ

لِمَعْشَرِ الْعُشَّاقِ
سَأَطَّلُ أَرْكَضُ فِي عُيُونِ
مَلِيحَتِي
حَتَّى الْأَقْي - مُرْعَمًا
- فِي الْبَارِقَاتِ حَيَاتِي

أحضان موجوعة

أُمِّي وَأُخْتِي وَابْنَتَايَ
زَوْجَتِي وَخَالَتَايَ
وَعَمَّتِي وَجَدَّتِي وَجَارَتِي سُمِّيَّةً
فِي كُلِّ لَيْلٍ
يَعْرِزْنَ خَوْفَهُنَّ بِمَدَامِ الْعِيُونِ
يَنْسِجْنَ الْحَيَاةَ
قَمِيصاً
يَطْوِفْنَ بِهِ قُلُوبَ أَبْنَائِهِنَّ
وَكُلَّ أَطْفَالِ الْوَطَنِ
يَجْذِبْنَ مَنْ شُعَاعِ نَجْمِهِنَّ رُوحاً
يَجْدِلْنَ مِنْهُ حِبَالَ شَوْقٍ
يَعْرِفْنَ مِنْ بَيْتِ الصَّمْتِ لِمَحَاتٍ
مَنْ الْأَمَلُ
مَنْ جَدْوَةَ الشَّمْسِ يُوَفِّدْنَ قُبَّةَ
الْأَمَانِ

دَوْماً يُتَمَتَمَنَّ بِالْقُرْآنِ
إِنْ ضَجَّ عَادٍ أَوْ صَخَبَ
يُصْحَبَنَّ لِيْلَهُنَّ بِالْعِيُونِ الْبَاكِئَةَ
أَحْلَامَهُنَّ تَنْكَمِشُ..
يُؤْمَسِكَنَّ بِالصَّقِيعِ
مُدْتَرَاتٍ لِلصَّغَارِ
يُنْدُبَنَّ أَنْفُسَهُنَّ إِنْ سَمِعْنَ بَعْضَ النَّادِبَاتِ
فِي أَعْيُنِ الْأَطْفَالِ يَبْحَثْنَ
عَنْ بَعْضِ مَا يُعْطَى الْأَمْلُ بِوَجْهِهِنَّ
بِسُمَائِهِنَّ
رَغَمَ الْجِرَاحِ يَرْسُمَنَّهَا
يَمْنَحَنَّ مَنْ خَلَالِهَا الْحَيَاةَ
يُسْعِدَنَّ أَحْبَابَهُنَّ
حَتَّى وَإِنْ مُرِّقْنَ بِالْجِرَاحِ
يَقْهَرْنَ أَوْهَانَهُنَّ

- وإن على عظامهنَّ تسلَّط.. -

إن ظلَّ

أحبَّابهنَّ بلا ألم

إن حرَّكَ الوجعُ

صدرَ الطفولةِ فأنَّ المساءُ

ترى الأمومةَ تُعترِّكُ

وتجذبُ الحرصَ

من جوفِ بزكانٍ كامنٍ

وتدفعُ النُّعاسَ خلفَ وديانِ الأسَى

لِحضنِ ذاكِ الخافقِ الصَّغيرِ تعمَّدُ

معالمَ الحُزنِ تشدُّهَ والأنينُ

عيناها

تلك التي كانت تصرُّعُ الفؤارسَ

تدورُ في الفراغِ يكسرنَ

جليدَ صمتهنَّ بأهاتِ الوجعِ

وإن توقفت حياتها مع قلبه
غسلته بمحاجر التكلية والجفون
ولواعج القلب الذي لا يمل من الأئين
وبعدها توصل الحياة
وتمسح الدموع من قلبها
وتخرج ابتساماً
لطفلها الجديد

شوارع غزة

يا دمعُ مالكَ قد ذرقتَ مَنائي

وسححتَ فوقَ الخدِّ

منُ أحزانِ

وجعلتُ عينايَ حُمراً نَزْفُها

وشققتَ رُوحِي

وبالأوهانِ

أبصرُ هناكَ الطفلَ حينَ

تكبّدتُ عيناهُ

منُ مرأى أبيه يُعاني

أو تلكَ ثالكةً أتاها منُ نَعوا

قتلِي بهذا الحيِّ

أو بالتّاني

فجعٌ وجورٌ واحتِدَامٌ كريهةٌ

ظلمٌ وقهرٌ وانتقامٌ هوانِ

كرهٌ وقدفٌ فوقَ كلِّ

علامة

بغضٌ وثأرٌ مازجٌ بلعانٍ

حزنٌ وتفريقٌ وآلامٌ

هنا ضحكٌ

وفرحٌ سابقٌ بتهاني

هُمُ أخوةٌ كانوا عظيمٌ جهدهم

ملكوا القلوبَ

بأسوةٍ ومكانٍ

هدموا حصونَ عدوهم بجلادهم

وبصبرهم ملكوا قلوبَ حسانٍ

وثمارهم نضجتُ بفضلِ مليكهم

نضجاً لذيذاً قبلَ طولِ أوانٍ

فتصارعوا

كلُّ يريدُ قاطفها غضباً

بقتلٍ لا بحسنِ بيانٍ

وتساقطَ الفرسانُ
مَنْ كَانُوا ظُبًّا صَوَّبَ العَدُوَّ
بِقِسْوَةٍ وَطَعَانٍ
قَهَرُوا ذَوِيهِمْ دُونَ أَنْ يَتَفَكَّرُوا
قَتَلُوا المَحَبَّةَ كَذِبَةً بِهَوَانٍ
وَتَسَاقَطُوا فَوْقَ الجِبَاهِ لِنَذَلَةٍ
فَرِحًا لِنَصْرِ الوَهْمِ
بِالْأَحْزَانِ
فَتَشَقَّقَتْ أَحْيَاؤُنَا وَبِيوتُنَا
بَلُّ كُلِّ قَلْبٍ شُقٌّ
وَهُوَ يُعَانِي
فَمَاتُمْ مَلَأْتُمْ شَوَارِعَ غَزَةٍ
وَمَدَامِعُ
مَلَأْتُمْ جِيُوبَ حَزَانٍ
بَلَدٌ أَتَاهَا رِزْقُهَا

من ربِّها
رغداً كما شاءت مع
الأزمانِ
كفرتُ بأنعمِ ربِّها
وتحوّلتُ بالقتلِ تهدمُ رقعةَ الأوطانِ
فبدت لنا أيماننا من قسوةٍ مثل الليالي
في كهوفِ الجاني
أينَ العقولُ
وهل لها من ميقظٍ
أينَ القلوبُ وهل لها بجنانٍ
ربّاهُ فارأف ربّنا بضعيفنا
وارحم الهى
من لظى طغيانٍ
ولنا فبصّر ربنا
لسبيلنا ولشملنا فاجمع
مدى الأحيانِ

العَدَاء

قَدِ انْطَلَقْنَا لِلْحَيَاةِ
وَقَدْ عَدَا نَحْوَ الشُّمُوحِ
بِرَفْعَةٍ وَجِهَادٍ
قَدِ انْتَشَيْنَا لِلضِّيَاعِ
وَقَدْ عَدَا صَوْبَ الْجَنَانِ
بِهِمَّةٍ وَعِنَادٍ
مَا ظَنَّ مَنْ عَاشَ الْحَيَاةَ بِطُولِهَا
أَنَّ الْقَعِيدَ مُسَابِقُ الْأَجْنَادِ
رَسَمَ الطَّرِيقَ
إِلَى الْيَقِينِ بِقُدْوَةٍ
كَانَ الرَّسُولُ إِمَامَهُ
وَالْهَادِي
يَا مَعْشَرَ الْإِخْوَانِ
هَلَّا عَيْشَةً
تَدْنُو بِنَا لِرَكَائِبِ الْمُتَنَادِي
لَمْ يُخْزِنَا أَنْ قَدْ قَضَى مِنْ بَيْنِنَا
فَالْمَجْدَ لَارَمَ

رائحٍ أو غادٍ
كم قد تمنى أن يفوزَ

كغيره

حتى تهالك كلُّهم

متمادٍ

يا ذلَّةَ الأعداءِ ممَّا أقدموا

يا فرحةَ الأحفادِ

بالأجدادِ

شيخٍ قعيدٍ لقبوه

بجهلهم

همو همو

رهنَّ إلى الإقعادِ

قالوا التَّمَنُّسُ بِالهِوَانِ

سَلَامَةً

لكنَّهُ مَتَمَنِّسٌ بِجِهَادِ

قالوا التَّعَلُّ بِالْقَلِيلِ

كَرَامَةٌ
لَكِنَّهُ مُتَعَلِّقٌ بِزِنَادٍ
قَالُوا الْمُبَاحُ بَأْنُ يَكُونُ بَيْتِهِ
لَكِنَّهُ رَمَزٌ إِلَى الْفُؤَادِ
لَمْ يُثْنِهِ عَجْزٌ رَهِيْبٌ إِنَّهُ
يُنْتَلَى الْأَبْيِّ
بِقُوَّةٍ وَعِتَادٍ
قَدْ كَانَ يَعْذُو وَيَحْكُمُ
مِنْ عَدُوهِ
كَالْبَرْقِ
نَحْوَ كَمَائِنٍ وَعِتَادٍ
سَبَقَ الْجَمِيعَ بِصِدْقِهِ وَرِضَائِهِ
فَعَدَا إِلَى الْفِرْدَوْسِ
بِالْإِعْدَادِ
صَلُّوا لَهُ مَا دَامَ فِيكُمْ نَسْمَةٌ

تُعْطُوا بِهَا الْأَمْجَادَ

لِلْأَمْجَادِ

فَخَرُّ وَعِزُّ وَانْتِصَارُ كَرِيهَةٍ

مَجْدٌ وَخُلْدٌ

وَإِتِّسَامُ بِلَادِ

كَانَ الصَّحِيحُ وَكُنَّا أَوْجَاعُ

نَبْرَاسُ حَقٌّ

شُعْلَةٌ الْإِمْدَادِ

رَبَّاهُ وَاضْرِبْ كَلْبَهُمْ بِشِدِيدَةٍ

وَإِنْصُرْ الْهَي

عَضَّةَ الْأَجْسَادِ

رَبَّاهُ وَاجْبُرْ كَسْرَنَا بِفَقِيدِنَا

وَاخْلُفْ لَنَا

خَيْرًا مِنَ الْأَوْلَادِ

جراحات شامية

رَبَّاهُ إِنِّي قَدْ شَكَوْتُ

وَلِيَّتِي قَدْ حَزْتُ

أَرْضاً

كِي أُغِيثَ بَنَاتِي

رَبَّاهُ فَرُّوا مِنْ خَرَابِ كَرِيهَةٍ

كِي يَأْمَنُوا شَرَّ الْمُلُوكِ

طُعَاةٍ

رَبَّاهُ ضَلُّوا فِي الْبِلَادِ

فَمَا دَرُّوا هَلْ هُمْ بِأَرْضِ

الْعُرْبِ أَمْ غَابَتِ

وَصَلُّوا شَوَاطِئَ أَرْضِنَا

يَخْذُوهُمْ

أَمَلُ النَّجَاةِ وَبَسْطَةُ النَّخْوَاتِ

وَصَلُّوا إِلَى كُلِّ الَّذِينَ

تَعَلَّقَتْ بِهِمْ قُلُوبٌ

نَيْطٌ بِالْحَسْرَاتِ
أُسْرٌ شَوَاهَا الْبُؤْسُ
شَرٌّ بِلِيَّةٍ
فَرَّتْ لِنَحْفَظَ عِرَّةَ
الْقُلْدَاتِ
فَرَّتْ مِنَ الرَّمْضَاءِ
تَرْكُضٌ مَا دَرَتْ
أَنَّ الْفِرَارَ عَدَا إِلَى
الْوَيْلَاتِ
قَدْ أَلْهَبَتْهَا مَا يُسَيِّبُ
طِفْلَةً
وَتَظُنُّ أَنَّ نَجَاتَهَا
فِي هَاتِ
كَانَتْ ذِنَابُ الْعُرْبِ
تَرْقُبُ بُؤْسَهَا وَخَلَاصُهَا

بِيعَ كَمَا الْحَاجَاتِ
مِنْ ذِلَّةِ الْأَحْزَانِ وَالْجُوعِ الَّذِي قَهَرَ الْبَطُونََ
لِهَذِهِ الشَّامَاتِ
خَرَجَتْ لِحَى دَجَلٍ
تُنَادِي سِتْرَةً
لِلْأَهْلِ تَحْفَظُ شِبَعَةً
الْحُرَّاتِ
بِدِرَاهِمٍ مَعْدُودَةٍ يَعْطُونَهُمْ
قَهْرًا
بِحُجَّةِ هَذِهِ السُّنَنَاتِ
وَتَسَابِقِ الْعُرْيَانِ
كُلُّ يَبْتَغِي جَمَعَ الْجَوَارِي،
كُلَّهُنَّ بَنَاتِي
وَتَوَافِيهِ الْوَعَاطِ فَوْقَ
مَنَابِرِ

حَنُّوا عَلَى التَّرْخِيسِ وَالْبَيْعَاتِ

بِالْأَمْسِ

صَوْمًا تَعَرَّضَ قَسْوَةً

فَمَا تَسَابِقَ مُدْعَى النَّخَوَاتِ

بَلْ سَالَتِ الشَّهَوَاتُ

حِينَ بَنَاتِنَا كَنَّ الْحِسَانَ

فَهَبَّ بِالذُّعَوَاتِ

لَوْ كَانَ صَاحِبُ نَخْوَةٍ وَمُرُوءَةٍ

لَمَضَى يُسَكِّنُ هَذِهِ

الْأَهَاتِ

وَأَظْلًا يَسْعَى لَيْلُهُ بِنَهَارِهِ

يَمْضِي لَيْسَتْهُمْ

مِنَ الْوَيْلَاتِ

فَلِكُلِّ حُرٍّ قَدْ يَكُونُ مَكَانَهُ

مِثْلَ الْجِيَاعِ بِقَسْوَةِ الثُّورَاتِ

هَلْ كُنْتَ تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مَكَانَهُمْ

وَبَنَاتِ فَرْعِكَ فِي فَمِ الشَّهَوَاتِ !؟

يَا عَزْبُ

أَيْنَ كَرَامَةٌ وَمُرُوءَةٌ

أَيْنَ الْأَصَالَةُ

يَا ذَوِي الْحِرَاتِ

حوار

جَوَارُ الصُّمِّ أَرْهَقَنِي

وَحَطَمَ صَمْنُهُ

أَمَلِي

إِذَا هَبُّوا لِمُجْتَمَعٍ

تَنْظُرُ الْخَيْرَ لَمْ يَزَلِ

إِذَا قَامُوا

إِذَا قَعَدُوا

إِذَا عَقَدُوا فَلَا تَسَلِ

تَنْظُرُ النَّاسَ تَرْقُبُهُمْ

وَهُمْ دَوْمًا بِإِلَا جَوْلِ

يُحَاوِرُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا

" أَكَمْ أَجْنِي "

بِإِلَا خَجَلِ

بِلَادٍ شَعْبُهَا أَضْحَى كَبِيرُهُمْ

بِإِلَا عَمَلِ

يَمُدُّ السَّاعِدَ السَّمْرًا
لِيَطْلُبَ: آه مِنْ ثِقَلِ
وَكَمْ كَانَتْ أَيْدِينَا
سَخَاءً مِنْ نَرَى مُقْلِي
فَبَيْتْنَا فِي حَوَاضِرِنَا
نُرَاقِبُ
بَعْرَةَ الْجُعْلِ
فِرَاعُ الْكَوْنِ نَرَفُبُهُ
حَيَاةُ النَّاسِ فِي شَلَلِ
فَأَبْنَاءُ لَنَا بَاتُوا
بِلا مَأْوَى
وَلَا شُغْلِ
وَفِي سَجْنِ
لَنَا أَسْرَى نَسِينَاهُمْ
مِنْ الْحَبْلِ

وَفِي الْمَشْفَى تَرَى مَرْضَى

مَوَاتًا دُونَمَا عِلِّي

وَفِي أَحْضَانِ وَهْمِهِمْ

يُحَاوِرُ دُونَمَا عَجَلِ

أَلَا إِنْ كَانَ مَطْلِبُهُمْ

بِأَنْ نَبْقَى عَلَى زَلَلِ

وَلَا مَسْعَى

لِجُلُّهُمْ

سَوَى التَّسْوِيفِ وَالْخَتَلِ

أَلَا رَبِّي فَأَنْصِفْنَا

وَأُنْقِذْنَا مِنَ الْمَطَلِ

كانون..

كانونُ يُلْتَحَفُ الصَّقِيعُ

كانونُ يَرْتَشِفُ القلوبُ

كانونُ ضَجَّ بِكُلِّ صَمْتٍ

قَدْ دَثَّرَ الأنفاسَ بالبَقَايا

المُوغِلَةَ

وعلى ضِفافِ نفوسِنا

قامَ انْتِصَبُ

كانونُ زَمَجَرَ بالهشيمِ

هوَ عابِثٌ..

أورافُنَا يَفْتِصُّهَا

ودونَ خَوْفٍ أَوْ مَلَأَ

قَدْ مَدَّ ألسنةً مِنَ الوَجَعِ التي اغْتَصَبَتْ

أحلامَنَا

فضفَاضَةً لِياليه

كمعاصِمِ الغيومِ وهي تحرِّكُ الطوفانُ

فِيُنْجَرِفُ

ومعهُ أصواتُ الحناجرِ وهي تلهثُ

وعلى أريكةٍ خوفنا تمطى

انقضَّ على الذكرياتِ التي

قدِمتْ

وخلفَ أفنعةِ الهشيمِ

قدْ أَرْجَحْتَكْ

- في نَوْمِكَ الذي زاحَمَ المكانَ بالمكانِ -

أَهْزُوجَةٌ شَتْوِيَّةٌ أَبَحْتُ

معها عن قمرِ

ورتابَةُ الأمطارِ تشدُّو

أُنشُودَةَ الكونِ التي تُوصِلُ

الأرضَ بالسَّماءِ

وهناكْ

بينَ السكونِ ودفقةِ المنحِ

الماء عاندٌ صاخباً حتى ارتوى
والبرقُ في أفقِ الحياةِ استشرى
طمعُ

وعلى عَجَالَةٍ

يَتَجَسَّأُ الرعدُ المرصعُ

ويُطارِدُ الأَحلامُ

ويضجُ بالهلعِ

يقولُ: أنا قادمٌ

وسَطَ الزوابعِ مازجاً بينَ الأمانِي

واللهيبِ

أَكويُ بِأَمْطارِي الثقبِلَةَ التي غمِرتِ

الأوجاعُ

تلكَ التي وقفتُ كأُضرحةِ

البعادِ..

كانونُ لا يزالُ في السماءِ

كانونُ لا يزالُ في انطلاقِ

وعلى أصابعِ فجرنا

احتسينا

بقيةً من الحكاياتِ

من آخرِ العجائزِ الذينَ ارهقهُمُ

العُمرُ

وبرودةُ الصقيعِ

معَ الرياحِ التي تَوَزُّ العيونَ

بمبردٍ

عنِ الفحيحِ لا يكفُّ

كانونُ ينظرُ ساخرًا

منَ مَبْسِمِ الكونِ انتفضُ

يأتي وكومةً منَ العطايا المؤلمةِ ويجتُمُ

على الصدورِ اللاهثةِ

هوَ يكرهُ الأصواتَ التي تُحاكي

لهيبه الذي تفرّد بالحياة
ألمم الخوف
من جانب الطرقات
وأبحث الآن عن كفي أمي الغائبة
هناك كانت تُدثرنا براحتيها
فيغيب برد القهر
وتنظفي الأحران..
اليوم كانوا استسرى غضب
وعلى بساط الذكريات تكورت
أحلامنا في رحم الأئين
وعلى جنبات سويعاته تهدمت
وبراحتي زئيره قلبنا
كملاح قارب
بشباكها التي لها الموج اقتلع
ألقي بنا بعدما فينا تمدد

وعلى موائدِ لحمنا

شبع..

كانونُ يزُورُ بينَ

سحابتينِ معه يلتصقُ الوجعُ

وقلوبنا كحمامةٍ في عشِّها انكملتُ

منَ الأفاعي التي على أبوابها سكنتُ

كانونُ لا يغادرُ

على عَجَلُ

هو جاتمٌ

هو يبئدي ويُنهَي الحكايةَ

يقولُ وهوَ واثقٌ:

- ونحنُ نُوقدُ الأملُ -

أنا تُراني أُسدلُ الستارةَ

وعندما يحطُّ فجرِي

أجرُّها وينهضُ الفرعُ

وعلى هدير موجِه

الذاهبِ

يظُلُّ بعضٌ من وجع

في هوى الموت أغني..!!

أنا ميّت
ميّت على ظهرِ هذي الأرضِ
أمشي
لم يعدْ لي
في دُنَا الخلقِ من فُسْحَةٍ
إلا كَفَنِي ونَعَشِي
هذه الدنيا حَوَانٌ
نحنُ عليها
قويّمٌ ودبشِ
لا ترى غيرَ قسوةِ
فيها ومهانةِ ولطشِ
فإذا ضحكتُ يوماً
إليكَ
مرغتكَ دَهْرًا ببَطْشِ
وإذا ما النّعماءُ زارتُكَ فاعلمْ

أَتَّكَ عَلَى
مُوْعِدِ لِحَرْشِ
وَاعْلَمْ أَنَّهَا تَقْسُو مِرَاراً
فَإِذَا أُيْنَعْتُ
فَذَاكَ نَذِيرٌ لِبَطْشِ
فَلَمَّاذَا نَعْرُكَ الدُّنْيَا صِرَاعاً
وَهِيَ دَارٌ
لَا بَقَاءَ لِمُلْكٍ وَعَرْشِ
هَا أَنَا فِيهَا تَائَةٌ
وَحَالِي بَيْنَ يَوْمِي وَقِرْشِي
أَنْظُرُ الْأَخْبَارَ
أَرَاهَا مَجْدُولَةً
كَحِبَالٍ فِي عَوَاصِفَ بَيْنَ خَطِّي
وَنَفْسِي
أُحَاوِرُ النَّفْسَ ضَاحِكاً مِنْهَا

وَقَلْبِي بَيْنَ حُنُقٍ وَهَشٍّ
عَجَباً لِدَاتِي إِنَّهَا لَا تَكْفُ
عَنْهَا رُغَمَ مَا فِيهَا
مَنْ قَهَرَ وَغَطَّشَ
يَا نَفْسُ مَالِكِ
تَرْكُضِينَ فِي سَرَابِ
لَهَا تَطْلِبِينَ بَهَشٍّ
إِنَّهَا لَيْسَتْ سَوَى
مَعْبِدِ خَاوِ
وَبَقَايَا فَرَشِ
وَأَنَا فِيهَا أَهِيمُ
مَوْضُوعَةٌ عِنْدِي بَيْنَ عَيْنِي وَرِمْتِي
لَكِنِّي رُغَمَ هَوَاهَا
فَأَنَا فِيهَا عَنْهَا زَاهِدٌ
أَرْمِيهَا بَرَفْشِي

كفَّ يا صاحِ عني فإني مولعٌ بالموتِ

فلماذا، كيفَ الموتُ يُعشِي!!؟

كلُّما الموتُ تنأى لي

يُرْجِي..

يثركُ نفسي لَجُوعي وعطشي

كلُّما قلتُ: تراءى..

تنأى...!!

قاصِداً قهري بقضمِ وقرشِ

أيُّ عُمُرٍ غائبِ

لا زلتُ أعدو بأسى

وسطَ أصواتِ

من نارٍ وهبشِ

أغبطُ المقبورَ حظاً

وإني في هوى الموتِ

أغني وأنشي..

إِنْ أَتَانِي طَارِقًا يَوْمًا لِبَابِي
سَوْفَ أَلْقَاهُ بِحَضْنٍ وَهَشٍّ
أَعَجَبُ الدَّهْرَ لِقَوْمِ
افْتَنُوا الْعَمَرَ لِدُنْيَا
لَيْسَ فِيهَا غَيْرَ حَقْدٍ وَفُحْشٍ
هَذِهِ الدُّنْيَا لِقَوْمِ
أَقْسَمُوا أَنْ سَيِّقُوا
وَمَا عَرَفُوا نَحْوَهُمْ أَنَّ الْمَوْتَ يَمْشِي

.....

أَيُّهَا الْمَوْتُ الْمَبْجُلُ
لَمْ نَخْشَاكَ وَفِيمَ
وَأَنْتَ تَخْرُجُنَا مِنْ غَابٍ وَحُرْشٍ
أَيُّهَا الْمَوْتُ الْكَرِيمُ
كُلُّ مَا بَعْدَكَ خَيْرٌ
فَأَكْمَلْ وَأَفْشِ

أَيُّهَا الْمُنْقَذُ فِينَا
مَتَى تَرْوِينَا
بِعُجْبٍ وَدَهْشٍ
فَهُنَا الطَّغْيَانُ تَجَلَّى
وَبِعَدَاكَ عَدْلٌ بِقِسْطٍ وَبِشٍّ
أَيُّهَا الْمَوْتُ سَلَامًا
يَا خَالِصًا
كُلَّمَا جِئْتِ وَتَمَشِي

بقايا حكاية

في موطني كالملوك

نحلم

ونعشق الحكايا

وحبدا لو أننا ننام

ووقعها في مسمعي

وجدتي

في ليلة شتوية تبثنا أحلامها

مع موقد

وشاي نار

معتق

أتذكر الحكاية..؟

ننسل من منامنا

لنستمع

من جدتي

تلك التي تمرست

أَنْ تَسْرِدَ الْحِكَايَةَ
وَتَمْنَحَ الْأَحْلَامَ وَالْأَمَلَ
وَتَقْتُلَ الْوَجَعَ
كَانَتْ تُحَدِّثُ بِأَنْبِيَئِهَا
عَنْ شَاطِرٍ حَسَنٍ
شَهْمٍ

وَيَعْبِزُ الْبِحَارَ وَيَعْشَقُ الْقَمَرَ
وَيَغْلِبُ السُّلْطَانَ وَيَفْهَرُ الْفَرَسَانَ
وَيُنْفِذُ الْأَمِيرَةَ
وَيَصْبِحُ الْمَلِكُ
وَعَنْ فَقِيرٍ سَائِسٍ _ لَنْ تَصَدَّقَ _
قَادَتُهُ فَطَنَتْهُ
لِيُصْبِحَ الْوَزِيرَ
لَأَنَّهَ بِحِكْمَةٍ قَدْ أَدْرَكَ الْخَلْلَ..
وَمَرَّةً حَدَّثْنَا

عَنْ بَيْتِمَةٍ مَسْكِينَةٍ مَغْلُوبَةٍ
لِنَعْلِهَا سِرٌّ بِهِ أَمِيرُهَا انْبَهَرَ
قَالَتْ لَنَا

كَيْفَ السَّمَاءُ تُمَطِّرُ الذَّهَبَ
وَكَيْفَ تَفْتَحُ الْمَغَارَاتِ
وَتَأْخُذُ الْمَالَ الْمُنتَهَبِ
وَلَيْلَةً كَانَتْ حَكَايَتُهَا

عَنْ طِفْلةٍ مُوهُوبَةٍ
قَتَلَتْ وَحْشاً

مَنْ يَقْطَعُ الطَّرِيقَ
وَيَحْكُمُ الْعَرَبَ

وَبَيْنَ طَيَّاتِ الْحِكَايَةِ شَهْرَزَادُ
بَيْتِنَا

مَحْظِيَّةٌ يَا الْعَجَبَ
وَقَدْ حَلَمْنَا حَيَّهَا

بأن نكُونَ ملوكَهَا
فتملكَ الرقابَ
وتجمعَ الحسانَ
وتوقدَ الحطبَ
وعندما كبرنا
عرفت أن حكايةً
أخرى تُقالُ
عن الرؤوسِ واللّهَبِ

قرار

هل أَسْتَجِيبُ إِلَى الْمَدَى؟

حِينَ الْمُضِيِّ إِلَى الْفَرَاغِ

أَمْ هَلْ أُنَادِي مَنْ نَسِيتُ؟

لَعَلَّ فِي هَذَا الْقَرَارِ ..!؟

يا صاحبي:

أَيْنَ الْوَرَى مِمَّا الْأَقِي أَوْ أَخَافُ؟

أَيْنَ الَّذِينَ أُحِبُّهُمْ؟ بَلْ أَيْنَ مَنْ كَتَبُوا تَرَاتِيلَ الْحَيَاةِ؟

هل انْتَشَيْتَ مُوَحَّرًا فِي وَصْلِهِمْ؟

فَرَأَيْتَ بِسْمَةَ

تَقَاوُلِ كَبُرْتُ فِي

يَدِيكَ

كحمامة، جُلبت من الأَصْفَاعِ كِي يُدَاوِي

بريشها ملك البلادِ

فَظَلَّ

أَبْنَاؤُهَا يُقَاوِمُونَ الْجَوْعَ

حَتَّى أَتَاهُمْ نَسْرٌ
فَأَيُّقِظَ الْحَيَاةَ
أُتْرَاهُ قَدْ شَبِعَ؟
تَهَالِكَ الْجَسَدُ الْمَلِيءُ ضَرَاوَةً
وَعَلَى سَرِيرِ الْفِسْقِ أَعْلَنَ أَنَّهُ مَلِكُ الْفِضَاءِ
فِي حِينِهَا
غَادَرْتُ عَمْرِي مِنْ بَحَارِ الْبُؤْسِ
نَزَعْتُهَا
كَشِبَاكَ صَيَّادٍ
حَامِلَةً مَا قَدْ تَظَنُّ بِأَنَّهُ سِرُّ الْبِقَاءِ
هُنَاكَ
سَامَرْتُهَا بَيْنَ النُّجُومِ
كَطَائِرَيْنِ
تَعَهَّدَا حَبَاتِ خَزْدَلٍ فَظَلَا
فِي شُغْلِهِمْ

يُعَانِقَانِ اللَّيْلَ حَتَّى أَوْرَقَتْ

شِفَاهُ صُبْحٍ سَاحِبٍ!!

أَتْرَاهُمَا قَدْ انْتَهَى بِهِمَا الشَّجْنُ..؟؟

غَاضَبْتُ نَفْسِي حِينَ غَاضَبَهَا السَّهْرُ

فَجَذَبْتُهَا مِنْ بَيْنِ أَوْزَاقِ الظَّلَامِ مُدْتَرًّا

دَاتِي

كَتَاسِكِ مَلَّ العِبَادَةَ بَعْدَ عُمُرٍ حِينَمَا انْطَفَأَتْ شُمُوعُ لَيْلٍ

جُفُونُهَا قَدْ أَسْدَلَتْ عَلَيَّ

مُقَلِّ الصَّبَاحِ

أَتْرَاهُ قَدْ مَلَّ السَّهْرُ..؟

فَآوَضْتُ أَمْطَارَ الخَيَالِ بَأَنْ تُغَادِرَ

إِلَى نَوَاحِيهَا البَعِيدَةِ عَلَّهَا

تُعالِجُ الصَّبَابَةَ الَّتِي تَمَلَّكَتْ

ذَاكَ المُسَافِرَ عِنْدَمَا

شغَلَتْهُ جَارِيَةٌ

قَدِ انْتَقَاهَا

وَحِيدَةً عَلَى

جَنَابَاتِ قَارِعَةٍ بُعِيدِ سَبْعِ

فَمَرَّ فَاجِرٌ بِهَا لَعَلَّهَا تُعْطِيهِ بَعْضًا مِنْ حُبِّيَّاتِ
الشَّبَقِ ..

وَحَيْمًا كَادَتْ تُسَلِّمُ بِالْمُرَادِ

- إِذْ كَانَ وَاعِدَهَا بِأَنْ تَكُونَ لَدَى الَّذِينَ تَسَابِقُوا إِلَى

جَمْعِ الْعَوَانِي -

أَدْرَكْتُهَا فَجَذَبْتُهَا مِنْ بَيْنِ أَشْوَاكِ الْهَبَاءِ

فَمَا انْتَوَيْتَ وَقَدْ تَطَاوَلَتِ السِّنِينُ

فِرَاوِدَتُكَ وَرِيْمًا رَاوَدْتَهَا

أَتُرَاكَ قَدْ عَوَيْتَ؟

بِلَادِنَا مُحْفُوفَةُ الْمَخَاطِرِ

إِنْ سِرْتَ فِيهَا عَابِرًا

تَكُونُ الصِّرَاطُ فَوْقَهُ سِيَاطُ

الموت تخطف البريق من عيون السعد
كزراعة الجد التي غمرت نواحيها مياه الفسق
فأصبحت حطباً لنيران
قد أشعلت للدفع في تموز
أترك قد عبرت؟؟
إن عشت فينا لحظةً فارقت مَصِيرَكَ
" فأنت لست أنت "

وقل: هل استطعت أن تكون؟
أو إنك الآن انتهيت...

المحطة التالية

شَيْطَانُهُ فِي مَرَّةٍ قَالَ

لي: لا تُحَدِّقْ فِي الْفِرَاقِ

هَمْسُ اللَّيَالِي لَنْ يَكُونَ سِوَى اغْتِرَابِ

وَإِذَا تَكشَفَتِ الْوُجُوهُ مَعَ الصَّبَاحِ

سَتَرَى الْقِنَاعَ يَدُوبُ

بِإِلَاقِنَاعِ

وَسَتَقْدِفُ الْبُشْرَى بَعِيداً

وَحِينَهَا لَنْ تَجْنِي

غَيْرَ التَّشْرِدِ وَالشَّتَاتِ

أَبْصَرْتُ شُبَّانَ الْحَيَاةِ

يُطِلُّ مِنْ عَيْنِي

عَانِيَةً

قَدْ اسْتَقَرَّ بِهَا الطَّرِيقُ عَلَى الطَّرِيقِ

قَدْ يَنْفُذُ الضُّوءُ الْمَقْبِيتُ إِلَى هُنَاكَ

دُفِعْتُ لِلرَّصِيفِ لِلْمُتَابَعَةِ

لَكِنِّي لَمْ أَسْتَطِعْ نَسِيَانَ قِصَّتِي الْأَخِيرَةَ
حَاوَلْتُ جَدَّبَ الْقَلْبَ مِنْ هُنَاكَ إِلَى يَدِي
وَفَتَحْتُ بَاهْتِمَامٍ يَأْسٍ ذِرَاعِيَّ
أَخْرَجْتُ بِسْمَةَ نَفِيلَةَ
مَنْ جَبَّ صَدْرِي الْمُقْفَلُ
عَاتَبْتُ نَفْسِي حِينَمَا رُمُوشُهَا نَادَتْ فَمَا أَجَبْتُ
فَقَدْ نَسِيْتُ الْفَنَّ فِي الْمُعَازَلَةِ
وَعِنْدَمَا هَمَمْتُ بِالْوُلُوجِ نَحْوَ بَابِهَا
تَحْتَ الظَّلَالِ الْمَائِلَةِ
رُصَاصَةَ شَيْطَانَةٍ قَدْ أُطْلِقَتْ
نَحْوَ السَّتَارَةِ الْمُعَلَّقَةِ
كَانَ القِطَارُ يَضِجُ بِالرَّجِيلِ
تَابَعْتُ عَيْنَيْهَا تُودِّعَانِ مَنْ ذَهَبُوا
إِلَى الْحَيَاةِ
وَرَأَيْتُ بِسْمَةَ الطَّرِيقِ عَلَى شِفَاهِ حَائِرَةٍ

كَانَتْ نَقُولُ: إِنِّي هُنَاكَ فِي مَحَطَّةِ تَالِيَةِ

(2)

قَدَفْتُ نَفْسِي مِنْ شَبَابِيكَ النَّزْفِ

وَعَلَى نَوَاحِي كَوْنِي

أَلْفَيْئُهَا

فَأَتَى يُهْرُولُ مِنْ وَسْطِ بَوْتَقَةٍ

كَمَارِدٍ مِنَ الْبَقَايَا قَدْ خَرَجَ

لِيَمْنَحَ الْأَمَانِي

الْمُسْتَحْيِلَةَ

لَكِنَّهُ قَدَّمَ اشْتِرَاطَهُ الْأَخِيرَ

أَخْرَجْتُ دَفْتَرِي الْقَدِيمَ

مُدَوَّنًا مَا قَدْ يَقُولُ

وَحَيْمًا النَّقْتُ نَحْوَهُ

عَارَتْ عَيْوُنُ السُّهْدِ وَهِيَ تُتَابِعُ

ذَاكَ الْمُسْجَى فَوْقَ جُثْمَانَ الْحَيَاةِ

وَدُونَمَا إِخْبَارُ

دَقَّ التَّمَرْدُ صَائِلًا

لَكَنَّنِي تَابَعْتُ دُونَ خَوْفِ

وَعَرَفْتُ دَاخِلَ الْجُفُونِ

وَبَدَأْتُ

مُحَاوِلًا تَنْفُسَ الْأَصْوَاتِ

وَقَفْتُ بُرْهَةً

شَرِبْتُ كَأْسِي الْأَثِيرِ

وَشَرَعْتُ مَاضِيًا تَرَانِيْلَ الدِّيَاجِي أَطْلُبُ

فَتَشْتُ عَنْ مَحَطَّةٍ جَدِيدَةٍ

فَمَا وَجَدْتُ سِوَى الْفَرَاغِ

أَدْرَكْتُ حِينَهَا بَأَنَّنِي

بِيَدِ

فِي لَعْبَةِ الضِّيَاغِ

وَقَدْ فَقدْتُ حَقِيقَتِي

عَبْرَ الطَّرِيقِ

وَلَا نَجَاةَ

صرخة أسير

كَيْفَ أَسْمُو فَوْقَ جُرْحِي

فَوْقَ حُزْنِي

فَوْقَ نَأْرِي

فَوْقَ آهِ مَزَّقَتْ صَدْرِي

أَنْقَلَتْ قَلْبِي

أَوْجَعْتَنِي أَرْجَعْتَنِي صَوْبَ

قَبْرِي؛ حَيْثُ يَرْفُدُّ

هَالِكًا سَيْفِي

كُلَّمَا أَمَعِنُ فِي أَعْمَاقِ عِزِّي نَاطِرًا

كُلَّمَا يُشْعَلُ شَمْعُ قَلْبِي بَاكِيًا

كُلَّمَا يَغْدُو الصَّدَى مُوجِعًا

كُلَّمَا أَرْنُو لِأَمْوَاجِ حَيَاتِي شَاهِدًا

كُلَّمَا فِي قَعْرِ كِيَانِي

قَلَّبْتُ بَعْضَ أَقْوَالِ لِبُؤْسِي

أَمْتَطِي صَهْوَةَ لَيْلِي

طَالِبًا تَأْرِي لِنَفْسِي
أُنْكَرُ الْأَصْوَاتَ قَهْرًا
لَسْتُ إِلَّا نَاعِيًا نَفْسِي لِنَفْسِي
لَسْتُ إِلَّا بَاكِيًا قَلْبِي لِقَلْبِي
لَسْتُ إِلَّا جَادِعًا أَنْفِي بِكَفِّي
إِنِّي مَا كُنْتُ يَوْمًا سَاعِيًا نَحْوَ حَنْفِي
غَيْرَ أَنِّي الْيَوْمَ أَجْثُو قُرْبَ قَبْرِي
قَدْ بَنَيْتَ الْبُؤْسَ بَيْتًا
وَتَوَسَّدْتُ - رَغْمًا - ظِلَالَ الْحُزْنِ
مُدِيَّةً مَشْحُودَةً فَوْقَ عُنُقِي
فِي اللَّيَالِي السُّودِ حَالِمًا عَوْدَ الْمُحِبِّ
لَا تَقُلْ لِي إِنَّ صَوْتِي لَا تَرَاهُ
لَا تُكَلِّمْنِي بِأَقْصَى مَا عَنَاهُ
لَا تُحَدِّثْنِي كَأَنَّ اللَّيْلَ كَفَّ فِي رِيَاهُ
لَمْ أَعُدْ أُصْغِي فَمَا عُدْتُ الشُّجَاعُ

لَمْ أَعُدْ أَسْمَعُ إِلَّا ضَجِيجًا
مِنْ أَسَاطِيرِ طُغَاةٍ
نُْمْرُودُ يَحْطُمُ وَنِيرُونُ شَوَاهِ
كَمْ أَقْلَ السَّيْلِ بَطْشًا
كَمْ تَمَادَى فِي لَظَاهِ
عِنْدَمَا أَشْرَفْتُ بَعْدَ غِيَابِ
خَلْفَ أَشْبَاهِ فَعَرَفْنَا أَنَا
لِسْنَا إِلَّا قِصَّةً مَنسُوجَةً
مِنْ حَكَايَا الْإِفْكَ
لِسْنَا إِلَّا لَمَحَةً مَسْرُوقَةً
مِنْ ثَنَائِيَاهِ
وَتَبَدَّلْنَا بِسُوقِ
تَاجِرٍ فِيهَا يَبِيعُ
وَسَوَاهُ جَالِسًا يَدْفَعُ
بَعْضًا مِنْ سَجَائِيَاهِ

آه قُدْسِي كَيْفَ عُدْنَا
مِرَاعِيًّا لِسَبَاعِ
تَجْتُمُّ الدَّهْرَ فِي رِيَاهُ
وَمَا عَلِمْتَ أَنَّهَا صَارَتْ بَقَايَا مِنْ بَقَايَاهُ
فَمَتَى أَفْهَرُ حُلْمِي؟
وَمَتَى يُنْمِرُ صَبْرِي؟
وَمَتَى تَحْضُنُ نَفْسِي نَفْسِي؟؟
قَدْ يَطُولُ الصَّبْرُ حِينًا
غَيْرَ أَنِّي سَوْفَ أَمْضِي
حَالِمًا عَوْدَ الْحَيَاةِ ...

سئمتُ الصُّبح

سئمتُ الصُّبحَ لو ندى بِقُبْلَةٍ
على أعشابِ مَوْتَانَا
سئمتُ الليلَ لو عادتْ مثالبُهُ
تُعانقُ ذلَّ أحيَانَا
وفي سُهدي تُلَاحِقُنِي
شيبُهُ الحُلمِ آمَالُ
ويَنُمُو الآهَ في صَدْرِي
ويَعْلِي الصَّبْرُ بُرْكَانًا
وَمِنْ جَهْلِ تُسَاوِرُنِي
معَ الأَهْوَاءِ أَهْوَاءُ
أنا مَنْ ظَنَّ أَنَّ الظُّلمَ مَوْعِدُهُ
معَ الأَيَّامِ أَيَّامُ
وخلتُ الصَّاحِ يُنْجِدُنَا
ويُخْبِرُنَا مَوَدَّتَهُ
وخلتُ دُمُوعَ أَطْفَالِي

قَدِ انْصَرَمَتْ
وَأَنَّ النَّارَ يُطْفِئُهَا
لَهَيْبِ الصَّوْتِ وَالْخُطْبِ
وَدَاعِ الصَّيْتِ فِي بَلَدِي
بِأَنَّ الْفَجَرَ قَدْ زَانَا
وَأَنَّ الْآهَ قَدْ ذَهَبَتْ بَعُودَتِنَا
بِوَحْدَتِنَا
وَأَنَّ سَيْوَفَنَا كَفَّتْ
تُتَلَحِّقُ جُنْدَ طُعْيَانِ
وَخَلَّتْ بِأَنَّ مَوْعِدَنَا
مَعَ الْأَهْوَالِ قَدْ ذَهَبَ
فَقَدْ صِرْنَا نَحْطُ الشَّرْقَ بِالْعَرَبِ
وَبِتْنَا دُونَمَا أَلَمِ
!!.....
وَلَكِنْ رَلَزْتُ مُقْلِي
حَقَائِقُ كُنْتُ أَنْجِرُهَا

وَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ غُرِسَتْ
بِسَهْلِ الْأَرْضِ أَشْبَاهَ وَأَشْبَاحُ
فَهَلْ كُنَّا بَعَفَلَتِنَا
نَبِيعُ الْقَلْبِ
أَنَا بِالصَّبْرِ مَشْهُورٌ
وَفِي صَوْتِي أُعَانِي الصَّمْتَ أَشْكَالًا
لِذَا سَتَطَلُّ نَافِذَتِي
عَلَى سَهْلِي مُقَابِلَةً مَفْتَحَةً
" لِأَبْنِي قَبْرِ أَحْيَانَا "

الْقُدْسُ

هِيَ نُقْطَةُ الْكَوْنِ
إِذَا مَا الْكَوْنُ يَكْتَمِلُ
هِيَ لَمَحَّةُ الشُّهُبِ الَّتِي تَدْوِي فَتَنْتَفِضُ
هِيَ بِسْمَةُ الرُّوحِ الَّتِي تَعْلُو جِبَاهَهُ
مَنْ عَلَى تَرَابِهَا خَفَقُوا
هِيَ تَرْزِيمَةُ الْحَبِّ الَّتِي قَطُّ
لَا تَفْنَى وَتُحْتَزَلُ
فِي عُيُونِ الْعِشْقِ أَبْحَرَ
الْخَلْقُ بِهَا
بِقَارِبٍ مِنَ الْأَشْوَاقِ يُحْتَضِرُ
هِيَ بَحْرُ أَشْوَاقِ الَّذِينَ بِهَا تَعَنَّوْا
بِهَا شَعَلُوا لَهَا انْشَعَلُوا
بِهَا تَسَابِقَ الْأَنْدَادِ عِبْرَ دَوْلَابِ الْوَرَى
وَمَا اخْتَارُوا دُرُوبَ السَّبْقِ
لَكِنَّهُمْ جَدُّوا لَهَا

وَمَا بَرِحُوا

الْقَدْسُ قَالَتْ:

- وما سَمِعُوا مَقَالَتَهَا -

أَنَا مَبْعُثُ الْحَقِّ الْمُقِيمِ بَأَرْضِهِ

لَنْ يُعْتَلَى بُرْجِي

وَكُلُّ الَّذِي يَأْتِي؛

وَأَنْ تَوَقَّفَ سَاعَةً

فَلَسَوْفَ يَدُوي

أَنَا مَسْحَةُ الْحَقِّ الَّتِي فَاقَتْ ذُرَى الْأَزَلِ

أَنَا هَمْسَةُ الْأَحْيَاءِ إِنْ ظَنَّ الْوَرَى صَوْتًا

لَهَا عَشْفُوا

أَنَا قِبْلَةُ النُّوَارِ عِبْرَ الدَّهْرِ أَنْتَفِضُ

فَيَنْتَفِضُوا

أَنَا النَّارِيحُ يُكْتَنَبُ عِبْرَ أَسْطُرِهِ

مَعَالِمِ الْبَدْلِ

إِنْ سَيْفًا وَإِنْ قَلَمٌ
أَنَا مَهْبِطُ الْأَمْلَاقِ عِبْرَ الْأُفُقِ
أَرَى الْعُشَّاقَ أَحْتَضِنُ
أَنَا الْعَيْنُ الَّتِي كَمْ فَاضَ مَاءُ
حَنِينِهَا

وَقَدْ حَلَّقَتْ بِهَا أَرْوَاحُ مَنْ قَدِمُوا
أَنَا الْوَرَى كُلُّ الْوَرَى
إِنْ خَصِمُوا أَوْ اخْتَصَمُوا
أَنَا صَوْتُ عُبَادٍ
عَلَى صَهْوَةِ الرَّيْثُونِ
بِمَسْحَاتِ طُهُرِهِمْ زَهْدُوا
وَمَا احْتَفَظُوا
أَنَا شِفَاهُ أَطْفَالٍ
تَدَوَّرَتْ رُغْمَ قَسَاوَةِ الْأَحْزَانِ
تَبَسُّمٌ

أنا التي أبناؤها همُ الفجرُ الذي تحطَّى
مَرَارَةَ الأَشْلَاءِ
وقد مَلَكَ الرُّؤْيَ
وإنْ نَهَضَتْ فَقَدْ
نَهَضُوا
أنا العيونُ التي ما ملَّتْ
كَمَنَارَةَ الغُيَابِ
تُسَابِقُ البَرَقَ عَبْرَ الذُّرَا
فَمَا تَعِبَتْ وَمَا تَعَبُوا
أنا كُلُّ آمَالِ مَنْ
تَمَرَّغُوا فِي ثُرَاهَا
لَهَا قَصَدُوا وَمَا اقْتَنَصَدُوا
أنا السَّمَاءُ التي ما كَفَّ عاشِقُهَا
يَمْدُ أَنْزَعَهُ لَهَا وَيَنْتَجِبُ
أنا تلكَ الوجوهُ التي جَابَتْ بعشْقِ

مساحاتِ الهوى
فَمَا مَلَّتْ
وتمضي عبْرَ أحلامِ القلوبِ
تَدْعُو وتَبْتَهِلُ
يا عابِراً قِفْ بأرجائي
وقلِّبْ في وُجُوهِ الكونِ ما قد تراه
تطلبُهُ وتَعْتَذِرُ
يا عاشِقاً
كفِّفْ قَلْبِيكَ عن خَفَقَاتِ أَسْمَعُهَا
واعلمْ بأنَّ صَدَاهُ في جِدْرِي
أَقْدِفُ الأعدَاءَ بِهِ وَأَقْتَلِعُ
يا سائِلاً
عن حَالِي وَأَحْوَالِي
هَآ هُمْ رِجَالِي
رُغْمَ القَهْرِ على عَتَبَاتِ دَوْحَاتِ

تَحَدُّوا شَفْرَةَ الطُّغْيَانِ
وَقَارِعُوا حَمِيمَ الْحَقْدِ
مَا انْفَكُّوا وَلَا وَهَّنُوا
وَوَسَطَ طَرِيقَهُمْ يَأْسٌ
تَمَّتْهُمُ الْوَصْلَ مَا قَبِلُوا
يَا طَالِبِي

أَنَا الْقُدْسُ لَسْتُ حِجَارَةً بُنِيَتْ
لَكِنِّي قُلُوبُ عُشَّاقٍ
تَعَلَّقَتْ النَّيَاطُ بِحِذْرِهَا
وَلَسَوْفَ أَنْتَصِرُ
وَلَسَوْفَ نَنْتَصِرُ

زينب

زَيْنَبُ الَّتِي أُحِبُّهَا

لم تعد زينب..؟

أَصْبَحْتُ مُومِئاً شَقْرَاءَ تَفْتَحُ

بَابَهَا لِكُلِّ مَنْ يَرَعْبُ

تُحِبُّ أَنْ تَلْهُو

تُحِبُّ أَنْ تَلْعَبُ

تُدَاعِبُ الدُّنَابَ مِنْ جَهْلِهَا وَمَنْ

لَهَا اغْتَصَبُ

وَأَصْبَحْتُ مَحْظِيَّةً

تُبَاعُ وَتُسْتَرَى

(تِلْكَ الَّتِي بَاعَتْ سُورِيَهَا؛

لِتُحْضِرَ المِرْقَبُ)

تُتَابِعُ الطُّوفَانَ حِينَ يَعْتَدِي

تُحَدِّرُ المُنْعَبُ

شِرَاعُهَا تَحَطَّمَتْ

حَمَلَتْ سِفَاحًا
وَتَبَدَّلَتْ زَيْنَبُ...!!
سَارَتْ بِعَيْرِ هُدْيِهَا
طُرُقٌ لَهَا أَظْلَمَتْ
بَانَتْ يُشَارُ لِشَعْرِهَا
لِعُيُونِهَا السَّوْدَاءِ
وَجِيدِهَا
وَكُلَّ مَا يَسْلُبُ
أَسْفَى عَلَى زَيْنَبُ
تِلْكَ الَّتِي تَزَيَّنْتُ وَتَجَمَّلْتُ
بَعْدَمَا وَلِيَدَهَا فَطَمْتُ
مَا أَرْجَأْتُهُ لَوْفَتِهِ
وَلَا فَكَّرْتُ تَتَّعَبُ
قَدَفْتُ بِهِ فِي مُلْجَا
لَقَيْطًا...!!

لَقَيْطَةً زَيْنَبُ !!..
حَاوَلْتُ أَنْ أُعِيدَهَا
صَارَعْتُهَا، نَادَيْتُهَا
لَكِنَّهَا بِوَجْهِهَا أَشَاحَتْ
عَنْ أَهْلِهَا وَحَبِيبِهَا
وَوَجَّهَتْ نَفْسَهَا
لِكُلِّ مَنْ يَدْفَعُ
وُكُلَّ مَنْ يَرْعَبُ
وَلَمْ تَعُدْ زَيْنَبُ
أَسْفِي عَلَى زَيْنَبُ

في لحظةِ الوداعِ

في لحظةِ الوداعِ

أهيمُ بالحياةُ

أطالِبُ السماءُ

بِعُمريَ الجديذُ

أعانقُ الزهورُ

وبسمةِ الصباخُ

في لحظةِ الوداعِ

أقبلُ الأشياءُ

أتوقُ للقاءُ

لبسمةِ الشفاءُ

ترنيمهُ العصفورُ

تريدني إصغاءُ

في لحظةِ الوداعِ

أصادقُ الحنانُ

وأعشقُ الأفنانُ

أَهْيِمُ بِالْأَرْكَانِ
بِرَوْعَةِ الزَّمَانِ
وَيُصْبِحُ الْإِنْسَانُ
سَلَامَةً أَمَانًا
وَيُصْبِحُ الْمَكَانُ
كَمَعْبَدِ الْجَمَالِ
بِالْحُبِّ بِالصِّفَاءِ
بِرَوْعَةِ اللِّقَاءِ
لَأَنْنِي أَكُونُ
فِي لَحْظَةِ الْوَدَاعِ
حَيَاتُنَا تَكُونُ
جَمِيلَةً وَرَائِعَةً
فَلْتُرْفَعْ الذَّرَاعُ
وَلْتَسْأَلِ الْإِلَهَ
حَيَاتُنَا تَكُونُ
كَلْحِظَةِ الْوَدَاعِ

بَعْدَ الضِّيَاعِ

لِي طِفْلَةٌ كَانَتْ تَجُوبُ مُرُوجَنَا
كَالْبَدْرِ تَغْدُو تَزْرَعُ الضَّحَكَاتِ
جَمِيلَةً كَأُرُوعِ الْبَنَاتِ
رَقِيقَةً كَأَعْدَبِ النَّسَمَاتِ
حُنُونَةً كَمَا الْحَيَاةُ
إِنْ أَشْرَقَتْ .. أَشْرَقَتْ مَعَهَا وَالذُّجَى
وَإِذَا تَبَسَّمتِ الطُّفُولَةُ أَبْرَقَتْ تَنَائِيهَا
كَفَجْرِنَا حِينَ
يُطَارِدُ اللَّيْلَ النَّقِيلُ
إِنْ حَاوَرْتِكَ سَرَى بِقَلْبِكَ دِفْءُ كُلِّ حَيَاةٍ
فِي لَيْلَةٍ مَجْنُونَةٍ
كَمَا التُّلُوجِ فِي قَعْرِ بِنْرِ حَاوِيَةٍ
بَدَا يَشْدُهَا إِلَيْهِ بِفَسْوَةٍ
ذَاكَ اللَّعِينُ
وَتَارَةً كُنَّا نَصُدُّ مَعَاوِلَهُ

وَمَضَتْ سُنُونُ الْقَهْرِ تَعْدُو كَالذَّنَابِ

وَسَطَ الرِّيحِ الحَارِقَةِ

فِي غَفْلَةٍ مِنْ أَمْرِنَا

مَنْ قَبْلَ أَعْوَامٍ مَضَتْ

أَظْنُهَا سَبْعِينَ فَاجِيعَةً

فَقَدْنُهَا فَمَا

عَادَتْ تُرَى

مَا عَادَتْ هُنَا

.....

سَبْعُونَ عَامًا قَدْ مَضَتْ

مَنْ قَبْلَ بَعْثِي لِلْحَيَاةِ أُحِبُّهَا

مَنْ بَعْدَ بَعْثِي لِلْحَيَاةِ

أُحِبُّهَا

أَسْرَعْتُ أُنَبِّئُ عَنِّي

أَتَابِعُ الصَّرَخَاتُ

عَلَّ الصَّدَى فِي جِذْرِ قَلْبِي

يَبْعَثُ الْأَمْوَاتُ

عَلَّ الطُّفُولَةَ فِي زَمَانِ الْخَزْيِ تُرْجِعُ طِفْلَتِي

هَبَّ الْجَمِيعُ لِنَجْدَتِي

وَتَجَمَّعُوا وَتَسْرَبَلُوا وَتَعَمَّلُوا

وَكَمَا تَجَمَّعَ سَمْلُهُمْ فِي سُرْعَةٍ

كَانَ التَّقَرُّقُ أَسْرَعَ

وَتَقَاعَسَ الْعُرْيَانُ

وَتَهَالَكَ الشُّجْعَانُ

وَتَنَاقَمَ السُّلْطَانُ

وَطَفَلْتِي وَسَطَ الرَّحَامِ

بَاتَتْ بِأَحْضَانِ غَرِيبَةٍ

مَغْصُوبَةً مَقْتُولَةً مَقْهُورَةً

رَاحَتْ مَعَ النَّسِيَانِ

وَمَضَتْ حَيَاةَ اللَّيْلِ تَعْرُكُ طِفْلَتِي

أَوَاهُ يَا صَغِيرَتِي

أَوَاهُ يَا مَلِيكَتِي

كَمْ قَدْ جَنِينَا حِينَ تَرَكِكِ لِلضِّيَاعِ

كَمْ قَدْ سَكِرْنَا مِنْ كُؤُوسِ الذُّلِّ نَكَرَعُ مَا ارْتَوَيْنَا مِنْ هَوَانِ

.....

وَشَبَّتِ الْحَيَاةُ

وَطِفْلَتِي

مَضَتْ كَمَا الْحَيَاةُ

لَكِنَّهَا مِنْذُ الضِّيَاعِ

فِي كُلِّ يَوْمٍ فِي عِيُونِ الْكُونِ تُبْجِرُ

تُعَانِدُ الصَّلْفَ الَّذِي

فَوْقَ الْكَرَامَةِ حَطَّ أَرْكَانَ التَّجْبُرِ وَالسَّفَاحِ

نَادَتْ بِأَعْلَى صَوْتِهَا وَاسْتَصْرَخَتْ

بَلْ نَادَتْ الْأَسْوَارَ وَالْأَعْوَارَ وَالْأَشْجَارَ

بَلْ نَادَتْ الْأَكْوَانَ

حَتَّى تَتَّاهَى لِلْعُيُونِ ضَجِيجُهَا
وَتَعَالَتْ الصَّرَخَاتُ مِنْ أَعْمَاقِهَا
مَنْ كُلِّ جُرْحٍ قَدْ تَمَادَى نَرْفُهَا
مَنْ كُلِّ آهٍ قَدْ تَعَالَى صَوْنُهَا
لَكِنَّهَا

ظَلَّتْ تُتَادِي فِي الْفَرَاعِ
وَكَأَنَّهُمْ

فِي الْمَوْتِ ظَلَّ مَكَانُهُمْ..

يَا وَيْلَهَا ؛ يَا وَيْلَهُمْ مِنْ حُزْنِهَا

مِنْ قَهْرِهَا وَعَذَابِهَا مِنْ كَسْرِهَا

بَانَتْ تُلْمِمُ فِي الْمَسَاءِ ظِلَالَهَا

كَمَلِيكَةٍ تَاهَتْ خُطَاهَا عَنْ بَسَاطِ الصُّبْحِ

فَمَضَى بِهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ يَجْرُهَا

نَحْوَ الضِّيَاعِ

نَحْوَ الْغِيَابِ وَرُبَّمَا نَحْوَ الْهَبَاءِ

إِنْ عَانَبْتُ أَوْ قَاوَمْتُ أَوْ حَاوَرْتُ

فَلَمَنْ تَكْدُ وَتَتَعَبُ

وَلَمَنْ تُتَاوَلُ تَطْلُبُ

وَلَمَنْ تُهَادِنُ تَحْلُمُ

أَبْنَاوُهَا طَلَابُهَا عَشَّاقُهَا

لَا يَعْجَبُونَ بِقَهْرِهَا

بَانُوا يَجْرُونَ الْخَيْوَطَ كَمَا السَّرَابُ

أَضْحَوْا بِلَا شِرَاعِ

وَتَمَرَّقَتْ أَحْلَامُهُمْ خَلْفَ التَّلَالِ

فَمَا تَبَدَّتْ لِلْعِيَانِ عِيُونُهَا

كَيْ يَنْشَلُوها مِنْ عَمِيقِ اللَّيْلِ

نَحْوَ الْبَقَاءِ

.....

وَبَعْدَ طَوْلِ فِرَاقِنَا

وَبَعْدَ كُلِّ عَنَاءٍ

هَلْ تُخْبِرِينَ

مَلِيكَتِي

هَلْ تُبْصِرِينَ شِرَاعَنَا

يَجِدُ نَحْوِكَ فِي الْعُبَابِ

هَلْ تَسْمَعِينَ صَدَى الْأَحْبَةِ

قَادِمًا

يَشْدُو

مُنَادِيًا وَمُلبِّيًّا وَمُصَبِّحًا

هَلْ تَشْعُرِينَ بِنَا نَدْبُ كَمَا الْحَيَاةُ

أَمْ اِنْنَا فِي غَفْلَةٍ مِنْ أَمْرِنَا

وَشِرَاعُنَا لَا زَالَ يُغْرِبُ

فِي السَّرَابِ

فِي الْوَهْمِ نَمْضِي خَلْفَ كُنُوبَانِ الضِّيَاغِ

يَا طِفْلَتِي

يَا أُمَّنَا يَا جِذْرَنَا

يا كلَّ صوتٍ في الحَيَاةِ
إنَّ كانَ قارِئُنا يسيِّرُ لتيههِ
لا تحزني لا تيأسي
ولتعلّمي:
أنا وإن طال الغيابُ
لا بدَّ يوماً عن قريبٍ
نُعاودُ الطَّرِيقَ
ونفتِّحُ الأبوابَ
وتفتِّحُ الأبوابَ

ديك في مُنتَصَفِ اللَّيْلِ

ديك في مُنتَصَفِ اللَّيْلِ

نَادَى كَبْرًا

كَانَ يُنَادِي فِي أَهْدَابِ الْفَجْرِ

وَصَدَاهُ يُعَاوِدُ

أُذُنَ اللَّيْلِ

هَلْ كَانَ الْمُوْعَدُ يَعْرِفُهُ؟؟

صَدَحَ الدَّيْكَ وَكَبَّرَ

النَّعْرُ بِقَرِيْبَتِنَا

سَقَطَ

وَتَلَاهُ النَّعْرُ

وَعَوِيْلُ النَّسْوَةِ عَاوَدَنَا

مَا لَبَّى الْفَحْلُ

عَابَاتُ النَّاسِ تُحَاصِرُنَا

وَسَمَاءُ الدُّنْيَا تَمْطِرُنَا

سَاحَاتِ الْقَتْلِ

وَرِيَا حُ الصُّبْحِ تَنْوُرُ عَوَاصِفَ رَعْدُ
وَعَرِيبٌ يَطْرُقُ أَبْوَاباً
لِيَنَامَ بَحْضُنِ الرَّوْجِيَّةِ
وَيَعُودُ الدِيكَ يُنَادِي
أَنْ مُدِّي اللَّيْلُ

نَضَبَ الزَّيْتُ

نَضَبَ الزَّيْتُ وَاحْتَرَقُ
أَوْ تَهَاوَى قَدْ سُرِقُ
دَعُكَ مِنْ هَذَا الْقَلْقُ
إِنَّ أَمْرَ الْيَوْمِ فَاتُ
لَا تُفَكِّرْ فِي الْمَصَابِ
أَوْ تُعَانِي مِنْ مُصِيبَةٍ
لَمْ يُعَلَّلْ كَمْ مُصَابِ
نَمْ وَخَبِرْ عَنْ جَرِيمَةٍ
فِي مَنَامِكَ
عَلَّ جَفْنُكَ
يَفْضَحُ الْآلَامَ مَرَّةً
قَدْ تَظُنُّ بِأَنَّ قَوْمَكَ
قَدْ يُعَانُونَ الْفِرَاقُ
إِنْ يَظُنُّوا فِيكَ آهًا
أَشْعَلُوا فِيكَ الْخَرَابُ

لَا تُفَكِّرْ أَنْ تُصَابَ

لَنْ تَرَى فِيهَا كَرِيهَةً

البُعَاثُ

لَمْلِمٍ جِرَاحَكَ وَأَنْتَقِضُ
أَغْرِقُ هُمُومَكَ فِي بَحَارِ الْمَوْسِمِ
أَخْرِجُ صَدَى الْعُمْرِ الْجَدِيدِ إِلَى الْحَيَاةِ كَمَا الشُّعَاعُ
قَدْ يَسْتَنْبِيحُكَ كُلُّ أَشْكَالِ الضِّيَاعِ
قَدْ تَعْتَلِيكَ وَضَاعَةٌ مِثْلَ البُعَاثِ
قَدْ يَخْفِقُ الصِّدْرُ الْأَبْيَّ بِلَا انْبِعَاثِ
قَدْ تُسْتَشَاطُ
قَدْ يَدْمَعُ الْجَسَدُ الْمُفَدَّى مِنْ عُيُونِ اللامَكَانِ
فَتَرَى الكِرَامَةَ قَدْ تَسِيلُ بِلَا حَيَاءِ
كَقَدَارَةِ أَلْفَيْتِهَا وَسَطَ الدَّمُوعِ الْأَسِنَّةِ
إِيَّاكَ أَنْ تَدَعَ العُيُونََ عَلَى الطَّرِيقِ
فَإِذَا انْفَقَّتْ فَسَوْفَ تُبْصِرُ مَا يُخْبِئُهُ الفَرَاغُ
النَّارَ تَحْرِقُهَا الجُلُودُ
والمَوْجُ يُطْفِئُ كُلَّ أَفْكَارِ العَضْبِ
وَعُبُوسُ بَحْرِكَ لَا يُخِيفُ

عُودٌ لِسَانَكَ أَنْ يَذُوقَ تَرَابَهُ قَبْلَ الْبِقَاءِ
فَجِرَاحُ صَدْرِكَ سَوْفَ تُبْصِرُ خَنْجَرًا
وَعُيُونُ قَلْبِكَ سَوْفَ تَدْوِي
وَتَنَامُ تَرْفُوبُهُ الصَّبَاحُ!!
هَلْ تُبْصِرُ اللَّيْلَ الطَّوِيلَ بِلَا عُيُونٍ؟
أَمْ تَسْتَعِيرُ مِنَ النَّوَسِلِ بَعْضَ أَرْكَانِ الرُّؤْيَى؟
لَمَلَمْ جِرَاحَكَ يَا أُخْيَّ فَلَا سَبِيلَ إِلَى الرَّحِيلِ
وَعَدًّا سَيَعْبُرُ عِبْرَ تَيْهَكَ بَعْضُ مَنْ عَشَفُوا الْهَوَانَ
وَتَرَى هُنَا، مَاذَا تُرَى؟
نَامَتْ بِأَحْضَانِ السَّفَاحِ كِرَامَةٌ
مَاذَا تُرَى قَدْ تُتَجَبُّ
غَيْرَ الدَّنَاءَةِ وَالشَّقَاءِ؟
أُفُقُ الْحَيَاةِ لَقَدْ مَضَى نَحْوَ الْأُفُقِ
وَالصَّابِرُونَ عَلَى التَّكْتُمِ غَائِبُونَ
وَدِمَاؤُنَا صَارَتْ ثِمَارًا يَابِسَةً

أشلاؤها جوع التَّأْفِ والسُّكُوتِ

دع عنك كلَّ تَرْفَعِ

إِيَّاكَ أَنْ تَتَقَرَّرَ

فجِرَاحُ صَدْرِكَ مِثْلُ دِيدَانِ الْعَلَقِ

لَا لَنْ يُلْمَمَكَ السُّكُونُ

فاصدَعِ إِلَى نُورِ التَّشْطِيِّ وَارْتَقِبْ مَا قَدْ يَجِيءُ

لَا لَنْ يُلْمَمَ جُرْحَنَا

إِلَّا الْمُصَابُ وَمَنْ فُهِرَ،

مَنْ أَجَلْنَا مَنْ أَجَلِهِمْ

لَمْلِمِ جِرَاحَكَ وَأَنْتَقِضْ

يا رفاقي

نَحْنُ أَحْرَارٌ نَهَضْنَا
نَحْوَ أَرْضِ الْقُدْسِ قُمْنَا
نَحْنُ نَوْرٌ نَحْنُ نَارٌ
نَحْنُ إِيْمَانٌ تَجَلَّى
إِنْ أَرَدْتُمْ يَا رِفَاقِي
فَاسْمَعُوا قَوْلًا لِنَحْيَا
مِنْ شَبَابٍ قَدْ أَنْارُوا
دَرَبَهُمْ صَوَّبَ الْمُفَدَّى
مَنْ شَبَابٍ لَمْ يَكْلُوا
لَمْ يَمَلُّوا
ذَاكَ أَرْضَى
سَطَّرُوا صَفْحَاتِ عِزِّ
لَمْ يَذِلُّوا ذَاكَ أَهْدَى
يَكْتُبُونَ الْمَجْدَ فَجْرًا
يُرْسِمُونَ النَّصْرَ أَحْلَى

مِنْ شَبَابٍ
مِنْ بَنَاتٍ
حَطْمُوا لَيْلًا تَدَجَّى
نَحْنُ أَحْرَارٌ مَضِينَا
نَحْنُ نَوَارٌ قَدِمْنَا
نَحْوَ أَرْضِ
الْقُدْسِ سِرْنَا
مَا جَبْنَا مَا ضَلَلْنَا
مَا وَهَّنَا

أُمُّ الْأَسْرَى

يَا أُمَّ أَسْرَانَا الَّذِينَ تَقَدَّمُوا

عُزْفَ الصُّمُودِ بِعِزَّةٍ

لَا لِنَ تَخِيبَ وَلَا تَلِينُ

أَيْقُونَةُ الْأَسْرَى الَّتِي رَسَمَتْ خُطُوطَ وَفَائِهَا عَبْرَ السَّنِينِ

قَدْ كُنْتِ مُنْذُ الْفَجْرِ نَحْوَ الْقِبْلَةِ الْكُبْرَى

تُقْبَلِينَ وَتُدْبِرِينَ

مَلَّ النَّرَى خَطُوكِ الْأَبِيِّ

وَمَا مَلَّتِ

أَوْ تَصْبِرِينَ؟؟

يَا أُمَّ أَسْرَانَا الَّذِينَ تَكَبَّلَتْ عِيُونُنَا عَنْهُمْ

بَيْنَ تَيْهِ الْجَاهِ وَالسُّلْطَانِ

وَمَا عَرَفْتِ وَتَجْهَلِينَ

غَيْبًا تَنَاسَيْنَا

الَّذِينَ تَقَدَّمُوا

نَحْوَ الْبَيْقِينَ وَمَنْ بِهِمْ كُنَّا

وَالْيَوْمَ يَتَّبِعُونَ وَتَقْبَعِينَ

فِيهِمْ عِيُونُكَ

قَدْ اسْتَمَدَّتْ مِنْهُمْ

عَبَقَ الْقَدَاسَةِ

وَمَسْحَةَ الْوَجَعِ الدَّفِينِ

وَرَبَابَهُ النُّوَارِ مَا عَادَتْ تُغْنِي مَا

عَادَتْ تُدْنِدُنُ بِالْقُلُوبِ

وَشَدَّتِ الْأَوْتَارَ عَبْرَ تَعَارِيحِ

أَوْطَانِ

أَصْوَاتُهَا حَفَقُ الْأَنْبِيَنِ

يَا أُمَّنَا يَا أُمَّ أَسْرَانَا ضِيَاءَ مُحَمَّدًا

وَالْيُونُسَ الْمَرْوَانَ فَارِسَ أَحْمَدَ

وَفُؤَادَنَا

فِيهِمْ وَمَعَهُمْ قَدْ عَبَّرَتْ

وَتَعَثَّرَتْ خُطُواتِنَا وَأَنْتِ خُضَّتِ

وَتَعْبُرِينَ

إِكْبَارُنَا صَوْتُ الْأُمُومَةِ ذَاكَ صَوْتُ الْعَارِفِينَ

يَا أُمَّ أَسْرَانَا الْبَوَاسِلِ

الْقَابِضِينَ عَلَى الْأَيْنِ

دَهْرَانَ قَدْ مَرَّ

قَدْ التَّحَفْتَ فِيهِمَا الصَّبْرَ وَالْأَمَلَ الْمُسْجَى عَبْرَ أَعْمَاقِ

تَشَجَّرَ

فِيهَا الْيَقِينَ

عُمْرَانَ قَدْ مَرَّ

وَنَحْنُ نَلْتَحِفُ التَّهَؤُونَ

وَأَنْتِ لِلْأَشْوَاقِ لِلْأَسْرَى

تُكَافِحِينَ تَتَنَاضِلِينَ

تَشَاطِرِينَ أَحِبَّةً قَدْ انْضَوَوْا

فِي ظِلْمَةِ السَّجْنِ الْأَثِيمِ

صَبَّاحَهُمْ أَوْ لَيْلَهُمْ مَا بَيْنَ تَعْدِيبِ وَقَيْدِ الْحَاقِدِينَ

إِنْ أَنْ أَيْهَمْ فَرَعْتِ
وَدَقَّ قَلْبُكَ
لِعَوْنِ خَالِقِنَا ابْتَهَاتِ
قَدْ نَيْطَ قَلْبُكَ بِنِيَاطِهِمْ
فَبِتَّ بَيْنَهُمْ وَمَعَهُمْ
يُنْسَابُ دَمْعُكَ عِبْرَ حَطَّيْنِ
حَدَّيْنِ لِلْوَطَنِ الْأَسِيرِ تَحْضُنِينَ خَيَالَهُمْ
يَا أُمَّ أَسْرَانَا اعْذِرِينَا
فَنَحْنُ نَجْهَلُ
وَتَعْرِيفِينِ
وَنَحْنُ نَرْفُدُ
وَتَسْهَرِينِ
وَنَحْنُ أَسْرَى
أَهْوَانِنَا
وَكَيْفَمَا كَانَ
وَكَيْفَمَا كُنَّا
فَأَنْتِ أُمَّ الْأَجْمَعِينِ

يَا دَمْعُ صُبِّ

يَا دَمْعُ صُبِّ عَلَى الْخَدَّيْنِ

مِدْرَارًا

وَبَلَّلِ السَّهْلَ وَالْجَبَلَيْنِ

وَالدَّارَا

وَأَغْرِقِ الْكَوْنَ

حُزْنًا لَا انْقِضَاءَ لَهُ

مُدُّ سَارٍ مِنْ بَيْنِنَا

مَنْ كَانَ عَمَّارًا

قَدْ غَابَتِ الشَّمْسُ

غَضْبًا

بَعْدَ طَلْعَتِهَا

وَأَغْمَضَ اللَّيْلُ

نَجْمًا كَانَ سَيَّارًا

فُطَّانَ دَوْحَتِنَا

رُبَّانَ وُجْهَتِنَا

وَقَائِدَ الْجُنْدِ
فِي الْهَيْجَا وَمَنْ تَارَا
يَقْضِي شَهِيداً وَسَطاً
سَطْوَتِهِ
لِيَزِيدَنَا فَخْرًا
مَنْ قَادَ نُورَا
يَا وَيْحَ
شُعْبِي بَحْرِنِ كَادَ يَقْتُلُهُمْ
أَنْ غَابَ عَنَّا
رَمْزًا وَخِثْيَارَا
مَا هَرَّهْ يَوْمًا
أَنْ هَدَّوْهُ بَجَهْلِهِمْ
جَبَلُ أَشْمُ يُجِيلُ
الدَّرْبَ أَنْوَارَا
مَكَثَ السَّنِينِ

طُوَالاً
فَوْقَ مَرَكِبِهِ
يَجُوبُ
يَعْدُو بَحْرًا وَإِقْفَارًا
حُوصِرَتْ
يَا أَسَدَ
الْبِلَادِ فَلَمْ تَلِنْ
كَذَلِكَ أَنْتَ بِأَرْضِ
الْقُدْسِ
مِغْوَارًا
أَقُولُ فِيكَ
وَلَيْتَ الشُّعْرَ
يُنْصِفُكَ
يَا مَجْدَ مَنْ ضَحَّى الزَّمَانَ
مَا حَارَا

إِنْ كُنْتُ
أَزِي
أَزِيكَ مِنْ وَجَعِ
أَزِي الدِّيَارِ
وَأَهْلَ الْقُدْسِ
أَحْرَارًا
سُجِّيَتَ
فِي قَبْرِ يَضُمُّكَ عُنُودَ
وَكُنْتَ فِينَا مِثْلَ
العِزِّ صَبَارًا
يَا رَافِعِينَ سِيُوفَ العِزِّ
مِنْ غَضَبِ
لَا تُغْمِدُوهَا لِتَحْمُوا
الْقُدْسَ وَالدَّارَا
فَإِنْ قَضَى بَيْنَنَا

مَنْ كَانَ قَائِدُنَا

فَقَدْ دَعَاكُمْ

لِحِدِّ

رحلة بعد الحياة

في لَيْلَةٍ لَيْلَاءٍ كُنْتُ مُحَاوِلًا

لِلنُّومِ أَرْجُو أَنْ يَطُولَ مَنَامُهَا

فَطَنَنْتُ نَفْسِي قَدْ ذَهَبْتُ بِرَحْلَةٍ

في لَحْظَةٍ لَمْ أَدْرِ كَيْفَ قَوَامُهَا

وَضَنَنْتُ نَفْسِي قَدْ سُجِيتُ لِذَبْحَةٍ

مَحْنُومَةٍ لَا بُدَّ مِنْ إِبْرَامِهَا

وَتَنَازَعَتْ نَفْسِي إِلَيَّ كَرَاهَةً

لِلْمَوْتِ تَرْجُو أَنْ يَطُولَ دَوَامُهَا

وَأَتَى الْمَلَائِكُ وَحَوْلَهُ مِنْ جُنْدِهِ

يَسْتَلُّ رُوحِي كَيْفَ شَاءَ مَلَائِكُهَا

وَتَقَطَّعَتْ أَوْصَالَ نَفْسِي كَرَّةً

في كَرَّةٍ كَالنَّارِ حُمَّ حِمَامُهَا

وَأَخَذْتُ أَزْفُرُ شَاهِقًا وَمُكَبِّبًا

وَأُمزُقُ الْأَرْكَانَ فِي أَعْلَامِهَا

وَأَلْفُ سَاقًا فَوْقَ سَاقٍ مُكَبِّبًا

لَا قَدْ فَرَرْتُ وَلَا وُقَيْتُ أَلَامِهَا

وَرَأَيْتُ نَفْسِي كَالطُّيُورِ وَقَدْ عَدْتُ

تَحْتَ الْمِدَى قَدْ ذُبَحْتُ أَوْدَاجِهَا

وَيَدَايَ وَالْقَدَمَانِ تُبْسَطُ نَارَةً

وَيَقْبِضَةٌ تَطْوِي الْفَجِيعَةَ حَالِهَا

وَكَأَنَّ بُرْكَانًا يَشْبُ بِمِفْرَقِي

شَلَّ الْيَدَيْنِ وَقَبْلَهَا أَقْدَامِهَا

وَبَدَوْتُ لَا أَدْرِي بِعَيْنِي عِلَّةً

أَوْ قَدْ تَمَادَى لِلسَّمَاءِ زَمَامِهَا

فَعَلِمْتُ أَنِّي ذَاهِبٌ فِي رِحْلَةٍ

حَتْمًا عَلَيَّ وَلَا مَفَرَّ ذَهَابُهَا

وَبَدَوْتُ رُوحًا فِي يَدِ مَأْمُورَةٍ

تَعْصِي الْجَمِيعِ مُطِيعَةً رَبَّانَهَا

وَوَضِعْتُ فِي سِرْبَالِ قَارٍ مُحْرِقٍ

حَوْلِي يُلْعَنُ سَاخِطٌ قُدَّامَهَا

كَشَوَاءِ لَحْمٍ فِي صَفِيحٍ مُحْرِقٍ

نِيرَانُ رَبِّي قَدْ أَهَلَ حِمَامَهَا

وَوَصَلْتُ نَحْوَ سَمَاءِ رَبِّي رَاجِيًا

أَنْ قَدْ يُفْتَحَ لِي قَرِيبًا بَابُهَا

وَعِنْدَمَا رُدَّ السَّلَامُ تَحِيَّةً

سُئِلَ الْأَمِينُ عَنِ الْأَمَانَةِ حَالَهَا

فَأَجَابَهُ ذَاكَ اللَّعِينُ بِعَيْنِهِ

لَا لَنْ تُفْتَحَ لِلْعَيْنِ بِأَلَدِهَا

وَإِذَا حَمَلْتِ أَمَانَةً فِي صُرَّةٍ

وَذَهَبْتَ تُرْجِعُ مَنْ إِلَيْهِ أَرَادَهَا

وَدَفَعْتَ مَا يَرْجُو إِلَيْكَ فَرَدَّهَا

فَأَلَى الْجَحِيمِ مَكَانُهَا وَمُقَامُهَا

فَقَذَفْتُ مِنْ أَعْلَى السَّمَاءِ بِقَسْوَةٍ

وَهَوَيْتُ حَتَّى مَا ظَنَنْتُ سَلَامَهَا

وَبِصَخْرَةٍ مِنْ نَارٍ وَيَلٍ سَعَّرْتُ

قَدْ سَجَّنُونِي مَا عَرَفْتُ قَرَارَهَا

ثُمَّ انْتَهَيْتُ إِلَيَّ جَنَازَةً بَائِسٍ

ظَنُّوا بِهِ أَنْ لَيْسَ مِنْ فُسَاقِهَا

فَرَجَوْتُ أَلَّا يَدْفُنُونِي وَيَحْمُهُمْ

لَكِنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا لِنِدَائِهَا

يَا وَيْلَتِي وُصِّدْتُ فِي أَرْكَانِهِ

وَصَحَّوْتُ فِي ظُلْمَاءٍ ضَاقَ مَكَانُهَا

وَضُمُّمْتُ بِالْقَبْرِ السَّقِيمِ بِضَمَّةٍ

قَدْ بَدَّلْتُ أَضْلَاعَ صَدْرِي حَالَهَا
وَعَنْ شِمَالِي إِذْ بِشَخِصٍ مُرْعَبٍ

كَالْعُورِ جَاءَ وَبِالْحَظِيرِ فِرَاخُهَا

فَسَأَلْتُهُ مَنْ ذَا تَكُونُ فَهَزَّنِي

بُنْسَاكَ إِنِّي مِنْ بَنَى عَمَّالِهَا

فَلَا هَنَيْتَ وَلَا سَعِدْتَ بِصُحْبَتِي

أَبَشِرْ بِطُولِ مَدَلَّةٍ بِعَدَابِهَا

وَجَاءَ مُنْكَرٌ وَالنَّكِيرُ يَوْمُهُ

طُودَانَ فُكَاكَ حَبْلُهَا وَلِجَامُهَا

فَزَجَرْتُ زَجْرَةَ مُنْكَرٍ فَانْسَيْتُ نَفَّ

سِييَ مَنْ أَكُونُ وَمَا يَكُونُ مَكَانُهَا

وَسُئِلْتُ عَنْ رَبِّ كَرِيمٍ مُنْصِفٍ

لِلْخَلْقِ يُعْطِي لَا يُرِيدُ شِرَاءَهَا

وَسُئِلْتُ عَنْ نُورِ الْهُدَى وَحَبِيبِنَا

وَعَنِ الْقَوِيمِ الدِّينِ دُيُنُ سَلَامِهَا

فَبُهِتْتُ لَا أُدْرِي بِعَقْلِي عِلَّةَ

أَوْ رَبِّمَا وَصَدَّتْ دُونَ جَوَابِهَا

وَأَخَذْتُ أَنْظِرُ لِلسَّمَاءِ مُحْمَلِقَا

عَلَّ الْإِجَابَةَ أَنْ تَكُونَ سُؤَالَهَا

لَكِنَّهُ يَوْمُ الْإِجَابَةِ وَوَحْدَهُ

قَدَّمَ لِخَيْرٍ تَلَقَّ نُورَ جَوَابِهَا

فَخَرَسْتُ ثُمَّ نَطَقْتُ خِطْبًا لِيَتَنِي

مَا كُنْتُ يَوْمًا فِي الْحَيَاةِ خَلَاصَهَا

فَلَا دَرَيْتَ أَجَابِنِي وَجِبَالَ رَبِّ

بِي فَوْقَ رَأْسِي حُطِّمْتَ أَقْفَالَهَا

وَكُلَّمَا عَادَ الْمَكَانَ لِحَالِهِ

عَادَ الْمُبْرِّحُ مِنْ حَدِيدِ نَارِهَا

وَمَعِيَ بِقَبْرِي مُؤْنِسٍ مِنْ عَقْرَبٍ

أَوْ أَفْرَعٍ فَلَّ الْعِظَامَ حُسَامَهَا

وَعَنْ يَمِينِي عُزْفُهُ قَدْ أَشْرَقَتْ

فَطَنَنْتُ أَنْ الْعَفْوُ جَاءَ رَجَاؤَهَا

كَانَ الْمَكَانُ مَكَانَ خُلْدِكَ وَحَدَهُ

خَابَ الْمَضِيعُ نَفْسَهُ لِحَطَامِهَا

وَعَنْ شِمَالِي نَارُ رَبِّي أُضْرِمَتْ

أَشْفَقْتُ حِينًا رَاجِيًا إِبْعَادَهَا

أَيُّنَ الْمَقَرُّ وَكُلُّ قَبْرِكَ حُفْرَةٌ

مِنْ نَارٍ سَقَرٍ قُنَّحَتْ أَبْوَابُهَا

لَا لَنْ تَنَامَ بِرَاحَةٍ مُشْتَاقَةً

سَيَكُونُ حَتَّى يَوْمِ بَعَثِكَ حَالَهَا

فَظَلَّتْ فِي عُمُرٍ مَدِيدٍ مُحْرِقٍ

أُسْوَى وَأُسْقَى كَيْفَ كَانَ لِزَامُهَا

وَسَأَلْتُ رَبِّي أَلْفَ أَلْفٍ رَاجِبًا

أَنْ قَدْ يُخَفِّفَ أَوْ يَزِيحَ عَذَابَهَا

لَكِنَّهُ عُمُرٌ طَوِيلٌ مُرْعَبٌ

وَبِهِ مِنَ الْوَيْلَاتِ كُلِّ جِسَامِهَا

وَصُعِفْتُ صَعْفَةً مَيِّتٍ أَوْ هَالِكٍ

وَبَعْدَهَا كَانَ الْمَضِيُّ قِيَامَهَا

قَدْ شَقَّقْتُ أَجْدَاثُ خَلْقٍ كُلِّهِمْ

وَمَضَوْا هُرُوبًا نَحْوَ حَشْرِ سَاقِهَا

الشَّمْسُ فَوْقَ رُؤُوسِنَا قَدْ سُلِّطَتْ

نَارُ الْجَحِيمِ أَقْلَهَا مِقْدَارُهَا

وَأَنَا السَّقِيمُ مَشِيئُهَا فِي ذَلَّةٍ

أَحِبُّ وَأُحِبُّ كَيْفَ حَالِ سُكَارِهَا

مِنْ جِسْمِي الْمَسْلُوقِ أَفْرَزُ سَائِلًا

قَدْ لَجَمَ الْفُؤُةَ الْمَقِيَّتْ بِمَائِهَا

وَأَخَذْتُ حَوْضًا فِي مِيَاهِ آسِنِ

يَعْلِي كَعْلِي الْقَدْرِ أَوْ بُرْكَانِهَا

حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى الْكَرِيمِ بِوَقْفَةٍ

عَنْتِ الْوُجُوهُ لِرَبِّهَا عُقْبَى لَهَا

طَالَ الْوُفُوفُ لِرَبِّنَا وَبَصْمَتِنَا

دَقَّتْ قُلُوبٌ خَلَائِقِ أَجْرَاسِهَا

وَضَعَتْ مَوَازِينُ الْإِلَهِ لِجِسْبَةِ

لَا لَنْ تُغَادِرَ فِي الْكَبِيرِ صِغَارَهَا

وَرَأَيْتُ حَبِيٍّ وَهُوَ يَسْقِي قَوْمَهُ

مِنْ كَوْثَرٍ لَا يَظْمَأُونَ شَرَابَهَا

وَمَلَائِكُ رَبِّي يَدْفَعُونَ رَذِيلَهَا

لَا لَنْ تَذُوقُوا إِنَّكُمْ فُسَّافُهَا

وَرَأَيْتُ حَبِيٍّ وَهُوَ يَدْعُو رَبَّهُ

يَا رَبَّ نَجِّ صَغِيرَهَا وَكِبَارَهَا

فَأَجَابَهُ رَبُّ حَكِيمٌ عَادِلٌ

لَمْ تَدْرِ كَيْفَ تَبَدَّلْتَ أَحْوَالَهَا

خَاضُوا كَأَفْسَقِ أُمَّةٍ مَخْلُوقَةٍ

وَتَهَالَكُوا نَحْوَ الْحَيَاةِ فَسَادَهَا

سُحْقًا لَهُمْ إِذْ فَرَطُوا سُحْقًا لَهُمْ

فَلْيَذْهَبُوا إِنْ شِئْتَ نَحْوَ قِفَارِهَا

وَأُخِذْتُ إِذْ حَانَ الْحِسَابُ لَوْفَقَةٍ

كَمْ قَدْ كُوَيْتُ بِبَرْدِهَا وَبِنَارِهَا

وَرَأَيْتُ وَجْهِي وَهُوَ يَخْجَلُ سَاقِطاً

حِينَ السُّؤَالِ عَنِ الْكِبَارِ صِغَارِهَا

وَرَأَيْتُ كَلَّ كَبِيرَةً وَخَفِيَّةً

كُنْتُ احْتَسَبْتُ بَأَنَّهُ يَعْفُو لَهَا

وَرَأَيْتُ أَحَادِي تَفُوقُ مِثَالِهَا

حَتَّى ظَنَنْتُ بَأَنِّي مِنْ صَالِهَا

وَسَمِعْتُ صَوْتاً مُرْعَباً لِجَهَنَّمَ

حِينَ الْمَجِيءِ بِهَا بِكُلِّ مَلَائِكَةٍ

قَدْ أُغْضِبَتْ قَدْ سَعَّرَتْ قَدْ زَمَجَرَتْ

قَدْ فَاحَتْ الْأَسْقَامُ بَعْضَ عِقَابِهَا

بُسِطَ الصِّرَاطُ عَلَى الْجَحِيمِ وَمَنْ يَكُنْ
ذَا عِلَّةٍ سَيَكُونُ مِنْ هَالِكِهَا

وَرَأَيْتُ مَنْ يَطْوِي الصِّرَاطَ كَبْرَقِهِ

وَرَأَيْتُ مَنْ يَجْتُو يُكَبُّ بِنَارِهَا

وَوَصَلْتُ نَحْوَ صِرَاطِهَا وَرَسُولُنَا

يَدْعُو بِسَلْمٍ مَنْ هُمُو وَرَأْدُهَا

وَمَشَيْتُ فَوْقَ صِرَاطِ رَبِّي رَاجِعِيًّا

وَهَدِيرُ نَارٍ حَارِقٍ وَغِضَابُهَا

سَوْدَاءَ كَالنَّكْبَاءِ كُتِبَ بِأُهَا

وَأَنَا أَعْتَرُ كَيْفَ شَاءَ مَلَائِكُهَا

لَوْ قُلْتُ بُرْكَانُ الطَّبِيعَةِ جَمْرُهَا

لَكَذَبْتُ فَهَوَّ هَبَاءُ ذَرِّ رَمَادِهَا

فَبَكَيْتُ حَتَّى سَاحَ جِسْمِي فَوْقَهَا

وَوَظَّهَرْتُ عَظْمًا سَائِرًا لِعِدَابِهَا

وَهَوَيْتُ دَهْرًا كَامِلًا بِجَحِيمِهَا

أَهْوَالُ وَيْلٍ لَيْسَ كُلُّ عِقَابِهَا

كَمْ بَدَّلَ الْجِدُّ السَّقِيمُ بِعُمُرِهِ

مُنْذُ الدُّخُولِ لِقَعْرِهَا مِنْ بَابِهَا

ظَلَمٌ مِنَ النَّيْرَانِ تَحْرِقُ مُهَجَّتِي

وَالْمُهْلُ مَاءٌ وَالضَّرِيعُ غَدَاؤُهَا

وَسُحِبْتُ فِي نَارِ الْجَحِيمِ وَلَيْتَنِي

قَدْ كُنْتُ يَوْمًا عَامِلًا لِنَجَاتِهَا

وَأَتَى الْمَلَائِكَةُ الْعِظَامَ بِقَيْدِهِمْ

قَدْ أَسْلَكُونِي فِي الْحَضِيضِ مَكَائِهَا

وَقَفَرْتُ مِنْ هَوْلٍ سَقِيمٍ مُوجِعٍ

فِي الْعَقْلِ ذِكْرَى مَا ظَنَنْتُ غِيَابِهَا

فِكْرًا عَظِيمًا مُفْرِعًا وَمُحَطَّمًا

لِلْقَلْبِ يَصْحُو عَازِمًا لِصَلَاحِهَا

وَدَعَوْتُ رَبِّي أَنْ أَكُونَ حَبِيبَهُ

وَرَجَوْتُهُ لِهَدَايَةِ خَيْرٍ لَهَا

يَا أُمَّةَ التَّوْحِيدِ نِلْكَ حَقِيقَةً

هَلْ تُنْكِرُونَ خَلَاصَهَا بِصَلَاحِهَا

عائِدُون

أنا إِنْ صَمْتُ
فإِنَّ صَمَّتِي كائِنُ
تغريدة الصَّبْحِ التي لا بُدَّ
يوماً تحضُرُ
أنا إِنْ كظمتُ
فإِنَّ غَيْطِي عائِدُ
غضبٌ يزلزلُ مِفرقَ القطبينِ
ناراً تحرقُ
أنا إِنْ عزمتُ
فإِنَّ قلبي نابضُ
ومفجّرٌ بركانَ صبرٍ
سوف يمضي يفهُرُ
أنا إِنْ رجعتُ فإنَّ خطوي
طائِلُ
لا لَنْ يهونَ ولنْ يُمرِّقَ

سَوْفَ يَكْوِي يَحْرِقُ
وَلْيُعْلَمُوا بِأَنَّ السَّيْفَ حَدٌّ بَاتِرٌ
وَلِدِيَّ عَهْدٌ قَدْ قَطَعْتُ
لِإِخْوَتِي

- ..حِينَ ارْتَوَتْ بِدِمَائِهِمْ أَرْضٌ حَمَتْهَا مُقْلَتِي -

إِنِّي إِلَيْهَا عَائِدٌ
وَدَمِي عَلَى صَدْرِي
فَالْحَقُّ آتٍ لَا مَحَالَةَ قَادِمٌ
وَلَأَنْ تَهَاوَنْتِ الْأَلُوفُ وَبُدِّدَتْ
فَلْيُعْلَمِ الْأَعْدَاءُ أَنَّ هُنَاكَ أَلْفٌ جَحْفَلٌ ..
وَهُنَاكَ خُضْنَا فِي غِمَارِ
الْقَهْرِ نَحْوَ الْعُودَةِ
فَلْتَهْنَيْ نَفْساً يَا حَبِيبَةَ
مُقْلَتِي
فَالْأَرْضُ عَائِدَةٌ
وَالْمَجْدُ مُنْبِعِثٌ

المحتويات

4.....	إهداء
5.....	شكر وتقدير
7.....	تقديم
13.....	في حضرّتها تغيبُ الكلمات
20.....	في عُيونِ مَليحَتِي
23.....	أحضان موجوعة
27.....	شوارع غزّة
31.....	العداء
35.....	جراحات شامية
40.....	حوار
43.....	كانون
50.....	في هوى الموت أغني!!
56.....	بقايا حكاية
60.....	قرار
65.....	المحطّة التّاليّة
70.....	صرخةُ أسير

74	سَمْتُ الصُّبْحِ
77	الْقُدْسِ
83	زَيْنَبِ
86	فِي لِحْظَةِ الْوَدَاعِ
88	بَعْدَ الصِّيَاحِ
96	دِيكَ فِي مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ
98	نَضَبَ الزَّيْتِ
100	الْبُعَاثِ
103	يَا رِفَاقِي
105	أُمُّ الْأَسْرَى
109	يَا دَمْعُ صُبَّ
114	رَحْلَةَ بَعْدِ الْحَيَاةِ
128	عَائِدُونَ
130	المحتويات

